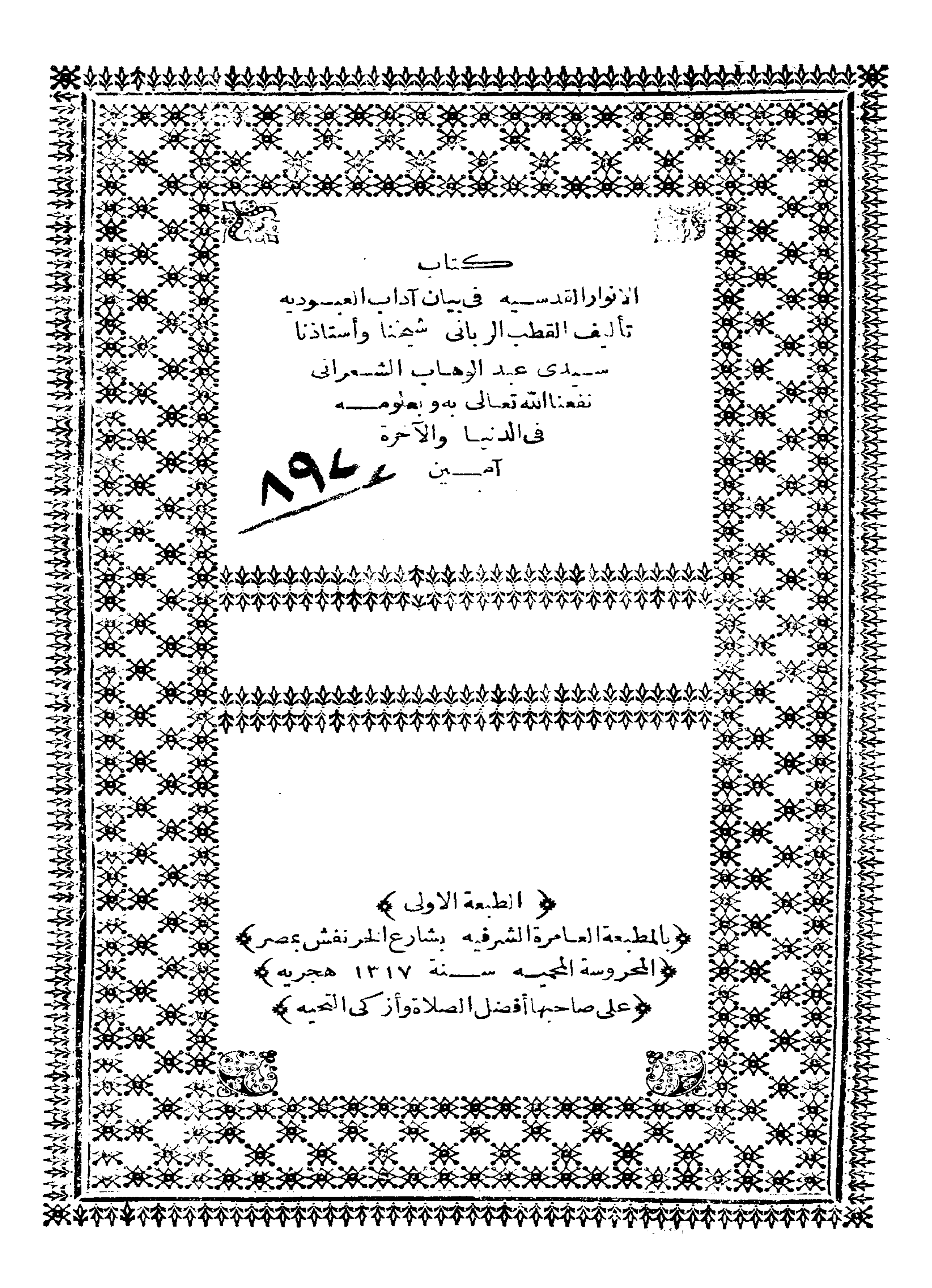
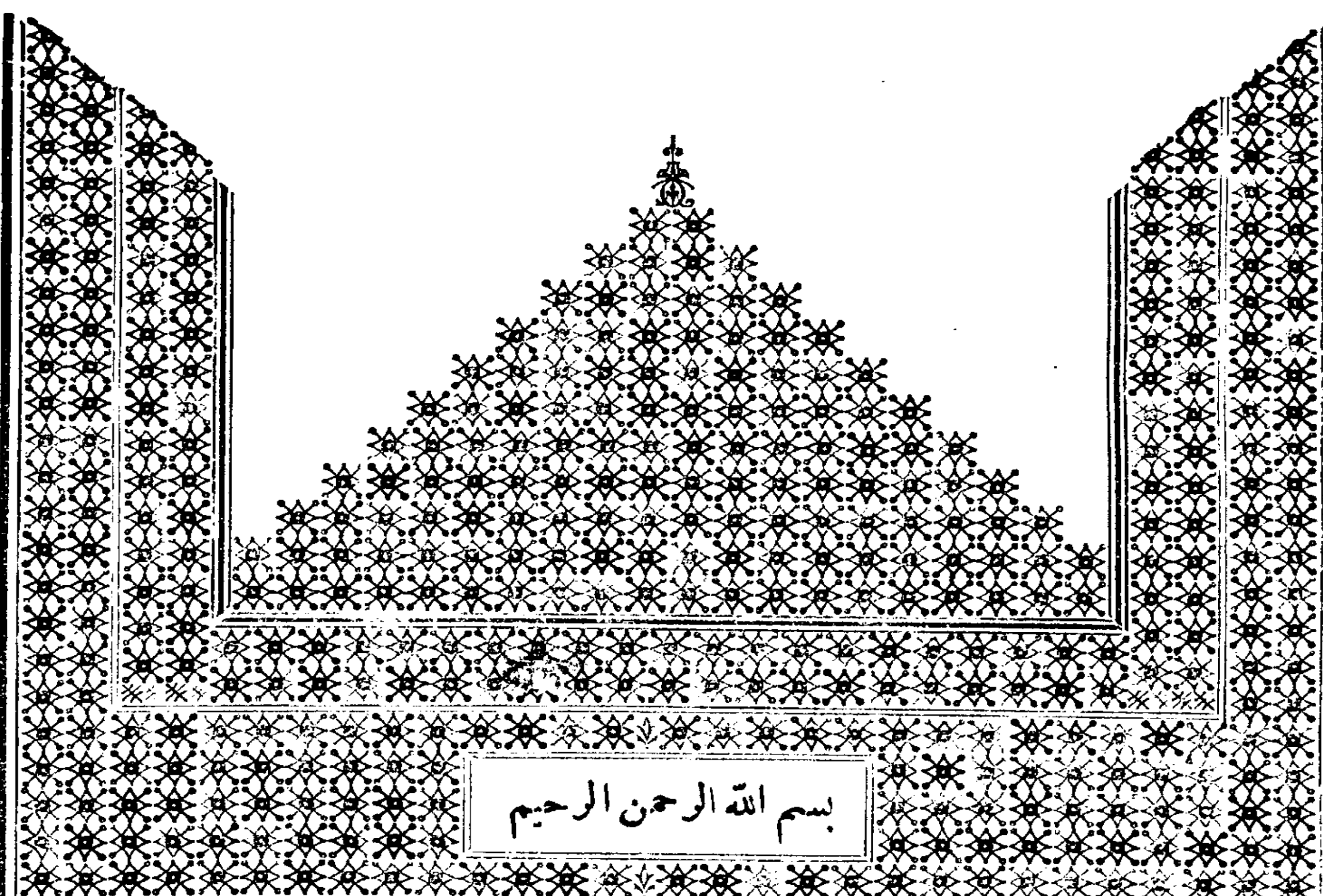


كتاب
الأنوار القدسيه في بيان آداب العبوديه

تأليف القطب الرباني شيخنا وأستاذنا
سيدى عبد الوهاب الشعراني
نفعنا الله تعالى به وبعلومه
في الدنيا والآخرة
آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾
﴿ بالمطبعة العامرة الشرفيه بشارع الخرنفش بمصر ﴾
﴿ المحروسة المحميه سنة ١٣١٧ هجريه ﴾
﴿ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه ﴾



الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والصلاة والتسليم على أشرف المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فلما كان يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب الفرد سنة احدى وثلاثين وتسعمائة تحرك عندى خاطر قوى بطلب مقامات الاولياء رضى الله عنهم وازدريت جميع ما أنا فيه وتكدر لذلك عيشى بأن فى ذلك عدم الرضا بما قسمه الله تعالى حتى خفت سوء الخاتمة والمقت والغضب فخرجت على وجهى فبينما أنا بالفسطاط مقابل الروضة بمصر أخذتنى حالة بين النائم واليقظان فسمعت هاتفا أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول على لسان الحق سبحانه وتعالى عبدى لو أطلعتك على جميع الكائنات وعدد الرمال واسم كل ذرة منه والنبات وأسمائها وأعمارها والحيوانات وأعمارها وانسابها الى أصولها من الوحش والطيور والحشرات وسائر الدواب وكشفت لك عن ملكوت السموات والارض والجنة والنار وما فيهن ظاهرا وباطنا وأنزلت المطر بدعائك وأحييت الميت على يدك وأجريت على يدك جميع ما أكرمت به عبادى المؤمنين لست من عبوديتى فى شئ انتهى ما ألقاه الهاتف فاستتم هذا الكلام وبقى عندى شهوة نفس لمقام من مقامات الاولياء لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فحمدت الله تعالى شكرا على ما أولى * وقد أحببت أن أتكلم على المراد بالهاتف وما ألقاه وأبسط الكلام فى ذلك مرصعا بكلام بعض العارفين من مشايخى رضى الله عنهم خوفا أن يتوهم أحد من القاصرين الذين لا معرفة عندهم بمراتب الوحى ان ذلك وحى كوحى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأقول * اعلم أن الهاتف المذكور لا يخلو اما أن يكون ملكا أو وليا أو من صالحى الجن أو هو الخضر عليه السلام أو غير ذلك لان الخضر عليه السلام حى باق لم يمت وقد اجتمعنا بمن اجتمع به وبالمهدى وأخذ عنهما طريق القوم وهو شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ حسن العراقى صاحب الضريح فوق الكوم بقرب بركة الرطل بمصر وذكر لى رضى الله عنه أنه اجتمع بالمهدى امام آخر الزمان عليه السلام بدمشق وأقام عنده سبعة أيام وعلمه ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر وذكر لى وقايع كثيرة وأنه سأل الامام عن سنة مولده فقال يولد أواخر المائتين

من الهجرة فسألت عن ذلك بعض الكمل من مشايخنا فاجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك
﴿وأما أما إلقاء الهاتف﴾ فنقول اعلم ان الوحي على ضروب منها ما يكون متلقيا بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال
وهو الوحي في النوم فالملقي خيال والنازل كذلك والوحي كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه
ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال من نزل به وهو المسمى بالالهام وقد يكون
كتابا ويقع ذلك كثيرا للاولياء كتقضيب البان ونحوه فكان شيخنا رضي الله عنه يجد بعد القيام من النوم ورقة
مكتوبا فيها ما ألقاه اليه به اذا تقرر ذلك فعلوم الغيب تنزل بها الارواح على قلوب العباد فمن عرفهم تلقاهم
بالادب ومن لم يعرفهم أخذ علم الغيب ولا يدري عن من كان كالكهنة وأهل الزجر فلهذا كان أهل الله تعالى
يرون تنزل الارواح على قلوبهم ولا يرون الملك النازل الا أن يكون المنزل عليه نبيا أو رسولا فاعلم أن أهل الله
يشهدون الملائكة ولكن لا يشهدونها ملقية عليهم أو يشهدون الالقاء ويعلمون أنها من الملك من غير شهود فلا
يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول ولهذا يفرق بين النبي صاحب الشرع المنزل وبين الولي
التابع واعلم أن ما ألقي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعبر عنه بالوحي وبالشرع فان كان منسوبا الى الله
تعالى بحكم الصفة سمي قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الفعل
لا بحكم الصفة يسمى حديثا وخبرا وسنة وقد أغلق الله باب التنزيل بالاحكام المشروعة وما أغلق باب التنزيل
بالعلم بها على قلوب أوليائه فالتنزيل الروحاني بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة من دعائهم الى الله تعالى بها
كما كان من اتبعوه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنا ومن اتبعني فاعلم أن الولي لا يدعو الى الله ابتداء بخلاف النبي
فالولي يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول ولسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث الرسول ولهذا لو قال الولي بما يخالف
حكم الرسول لم يتبع في ذلك ولم يكن على بصيرة لان من كان على بصيرة لا يتطرق اليه تهمة لانه ليس عن فكر
ولا نظر فعلمهم لا يزال له تجدد نظرا اذ هو حق اليقين اذا علمت ما ذكرناه فليس في القاء الهاتف المذكور ما يتوهم
منه رائحة دعوى النبوة بل ولا دعوى مرتبة العارفين أصحاب القلوب لان الفقير صاحب هذا الالقاء لم يشهد
صورة الملقي اليه ذلك ولا كان في اليقظة ولا هو في الاحكام الشرعية حتى يعارضها فهو بعيد عن مرتبة العارفين
أصحاب القلوب رضي الله عنهم أجمعين وقد سألني بعض الفقراء من الاخوان نفع الله بهم أن أملي على هذا الالقاء
المذكور جملة مما فهمته منه من آداب العبودية وجملة من آداب طلب العلم النافع وجملة من آداب الفقراء
عموما وخصوصا وما يدخل على كل طائفة من الدسائس في مقاصدهم لان الشيطان لهم بالمرصاد ولا ينجو منه
الا القليل من عباد الله فأجبت الى ذلك وختمت الابواب بجملة من مقامات السالكين التي سقطت عنهم
العبودية لله تعالى وأنها أخص مراتب الانبياء والصديقين ﴿وسميتها رسالة الانوار القدسية في بيان آداب
العبودية﴾ وذلك على لسان هاتف والخطيب على المنبر يوم الجمعة وأرجو من الله الكريم أن كل من نظر في
هذه الرسالة من الفقراء أحاط علما بالادب مع الله تعالى لما فيها من خرق نظام المشيخة والناموس وما فيهما من
الرياء والكبر الذي يترقى عند التلامذة في الغالب فيا ليت الشيخ تم على حالة التلامذة ولم يصر شيخا وكان كآحاد
الناس الذين لا يشار اليهم بالاصابع لان خير الناس من كان مستورا في الدنيا الا أن يكون مأمورا بعدم الستر
كالانبياء وورثتهم من كمل الاولياء على أن المتميزين الآن انما تميزهم بالدعوى فقط فان من أرباب الحرف
من هو على أوراد وأذكار وصدقات لا يخلو منها ولا يوما واحدا ولا يقال له قط خاطركم علينا ولا شيء لله المدد ولا
يعرفون الرياء ما هو وكذلك الفلاحون طول عامهم في مصالح الخلق في أعمال شاقة لا يقدر فقير يضبط على
دينه معها أسبوعا كاملا مع ازدراء غالب الخلق لهم وغالب فقراء هذا الزمان المدعين لا يسلم منهم من الرياء
والتصنع الا القليل لضعفهم ولا يتصدق أحدهم بالفلس الواحد بل يلقون كلما يجدونه ويرون بذلك الفخر
لا سيما ان كان أرباب الدولة يذكرونه بالثناء الحسن ولذلك قال بعض مشايخنا رحمه الله شيخ الاسلام برطيل
كبير وشيخ الفقير عبد حقير اذا علمت ذلك فترك التمييز والاتصاف في المواسم والهيبة أولى بل هو الصدق المحض
وهذه طريقة الصحابة والتابعين وهي طريقة سهلة نافعة لعامة المسلمين لأن كل الخلق لا يخرجون عنها انما هو

دعوى لا حقيقة لها كمن ادعى الألوهية من العبيد واعلم أن سبب تعدّي العبد عن حدوده كونه مخلوقا على الصورة وهو تعالى له العزة والكبرياء والعظمة فسرت هذه الاحكام في العبد تحقيقا للواقع والكامل من العبيد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية لما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار الى أدنى الاشياء والتألم من قرصة برغوث هذا يدركه كل انسان من نفسه ذوقا فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته ولو عبده الذي في رقه لانه ربما يكون عند الله أحسن حالا منه كما ورد في الحديث وليحذر من قوله له تجعل رأسك برأسي أو مثلك بمثلي أو غير ذلك فان هذا كله دليل على الجهل والغباوة والكبر والله لا يحب المتكبرين ولو لم يكن في ذلك الا أن الله تعالى يكرهه لكان كفاية في الزجر لان العبيد كلهم حرهم ورقيقهم ملك له تعالى لا فضل لأحد الا بما فضله سيده به وهذا لا يعلم الا بوحي فالزم الذل وترك الزجر لعبدك وخدمك ان كنت عبدا لله واعلم أن هذه الطريقة لا يحتاج سالكها الى مراجعة شيخ في الغالب لانه لا يقف مع كشف ولا منام ولا خاطر وغيرها مما يحتاج اليه فقهاء الصوفية وقد بالغت في ايضاحها وأحلت ما لا يدرك من الاخلاق الا ذوقا على الذوق اذ العبارة لا تضبطه كمن يصف طعم العسل لمن لم يره ولم يذقه فوصفه يقصر عن ايصال الطعم اليه على أني حذفت غالب ما لا يدرك الا بالذوق خوفا من ردّه اذا رآه من لم يذق ممن يقبل الكلام على التقليد لأن كل من زين له اعتقاد يرد كلما أتى بخلاف معتقده وان كان حقا ولأن طريق القوم ذوق لا نقل فمن لم يذق وأنكر فهو معذور وكل عالم اذا ذاق علما فوق علمه لا يمكنه التقيد معه ويترك الادنى درجة وليس من نقل كمن شهد واعلم ان جميع ما اضعه بارادة الله تعالى في هذه الرسالة ابن وقته ليس بفكر ولا نظر وانما هو أمر يسألني عنه بعض الاخوان فأزنه بميزاني القاصر وكل وقت له كلام جديد غير الآخر لانه ليس بنقل حتى يرجع اليه فرحم الله امرأ رأى فيها شيأ يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأصلحه لكن بشرط أن يكون على يقين ومعرفة ليس فيه شك (ورتبتها على ثلاثة أبواب وخاتمة * الباب الاوّل) في آداب العبودية على الاطلاق * الباب الثاني في آداب طلب العلم النافع * الباب الثالث في آداب الفقراء والمسلكين * والخاتمة في بيان جملة من المقامات الساقطة عند العبد المخلص وهي عمدة الرسالة وسبب وضعها وها أنا شارع في ذلك مستمدا مما يفتح الله تعالى به علي مما لم أره مسطرا الان شرط من يضع كتابا أن لا يعلم أن أحدا سبقه الى ما ذكر فيه والافتأليفه له حظ نفس فلا فائدة فيه وقد طرزتها بكلام بعض العارفين من مشايخي وغيرهم تبركا بذكرهم رضي الله عنهم أجمعين وأقول سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(الباب الاوّل في بيان آداب العبودية على الاطلاق)

والآيات والاخبار في ذلك مشهورة * اذا تقرر ذلك فالمراد من انزال الكتب وارسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أن يعرفوا العبيد وصفهم وما خلقوا له فيلزموه ويعرفوا ما لله عز وجل دونهم فلا ينازعوه فيه و جميع الكتب الالهية التي أنزلت وثائق الله على عباده وتحقيقا لما له عليهم وما لهم عليه فانه أوجب على نفسه لعباده حقوقا فضلا منه ونعمة منه فدخل معهم في العهدة فقال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم فادخلنا تحت العهد اعلاما بانا جحدنا عبوديتنا له اذ لو كنا عبيدا محضا له لم يكتب علينا عهدة فلما أبقنا بخروجنا عن حقيقتنا وادّعينا الملك والتصرف والاخذ والعطاء كتب بيننا وبينه عقودا وأدخل علينا العهد والميثاق وادخل نفسه معنا في ذلك ألا ترى العبد المكاتب ان لا يكاتب الا أن ينزل منزلة الاحرار ولولا توهم رائحة الحرية ما صحت مكاتبة العبيد وهم عبيد فان العبد لا يكتب عليه شئ ولا يجب له حق فانه ما يتصرف الا عن اذن سيده فاذا كان العبد يوفي حقيقة عبوديته لم يؤخذ عليه عهد ولا ميثاق ألا ترى العبد الآبق يجعل عليه القيد وهو الوثاق فهو بمنزلة الوثائق التي تتضمن العهود والعقود التي لا تصح بين العبد والسيد اذا علمت ذلك فمن أصعب آية تمر على العارفين بالله تعالى أوفوا بالعقود أو العهود فانها آية أخرجت العبيد عن عبوديتهم لله تعالى * ولنشرع في ذكر الآداب العامة فنقول من شأن كل العبيد أن لا يقفوا مع شئ من المواهب التي منحهم السيد بها او ينسون حقوقه عليهم من وجوب التوجه اليه دائما الأن جميع ما يطلبه العبد في الدنيا والآخرة لا يبرز الا من خزائن سيده وان من شئ الا عندنا خزائنه

فاين يذهبون ومن علم هذا ذوقا لم يلتفت لسواه ومن رضى به لم يسأل بما زوى عنه من حظوظ الدنيا والآخرة اذا
كان الحق عوضا له عن كل شئ اذا علمت ذلك فالعبد انما وظيفته امتثال الامر واجتناب النهى اجلالا لله تعالى
لا طمعا فى شئ ولا خوفا من شئ هذا هو اللائق بالادب لأن العبد انما يعمل لنفسه فكيف يطلب أجرا على ما عمله
لها والله خلقكم وما تعملون فلا يحسن منه طلب الأجر لوجه لا يشهد العمل فيه لله ولا لنفسه ولأنه لا يسلم له عبادة
واحدة بل خلل ونقص وسوء أدب فكيف يطلب ثوابا وهو انما يستحق بفعلها على الوجه المذكور العقاب
والمقت ومن ظهر له من نفسه الاخلاص ولم يطلع على نقص فى عبادته فهو على خطر فى قبولها فقد يردها فلا
يحسن منه طلب الا اذا علم أن الحق تعالى قبلها يقينا ومن أين له ذلك وبتقدير وقوعه فهو سؤال قبيح لما فيه من
الابهام وعدم الثقة بما وعد واعلم أن العوام أمرهم محمود فى ذلك ان شاء الله تعالى فيسألونه ويعطيهم ويرونه
فضلا ونعمة ويقولون نحن غارقون فى نعمة الله وباطنهم سليم لله تعالى وانما يقام هذا الميزان على أصحاب الدعاوى
والتكبر على الخلق بعبادة الله تعالى من الذين لم يعلموا حقيقة عبوديتهم وطغوا فيما ليس من وصفهم فعلم أن
العبد لا يستحق على سيده أجرة بخدمته له وان طلبها أساء الادب معه فالعبد انما يخدم سيده امتثالا لامره وهو
سبحانه يعطيه ما وعده لانه لا يخلف الميعاد مع أن العمل يطلب الاجرة بذاته ثم يعود ذلك على العامل ولذلك قالت
الرسل عليهم الصلاة والسلام عن أمر الله تعالى لأممهم تعريفا لهم بالأمر عليه قل ما أسألكم عليه من أجر ان
أجرى الا على الله فذكر واستحقاق الأجر على من يستعملهم واختص محمد صلى الله عليه وسلم بفضيلة لم ينلها
أحد غيره عاد فضلها على أمته مع ابقاء أجره على الله كالرسل قبله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذى له على رسالته
من أمته وهو أن لا يؤذوا قرابته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى فتعين على أمته أداء
ما أوجب الله عليهم من حب قرابته وأهل بيته فعلم ان الأجور مترددة بين الحق والخلق للحق أجر على خلقه
لأعمال عملها لهم وللخلق أجر على الله فضلا منه ومنة لأعمال عملوها له لأنهم طريق لظهور هذه الاجور فلولا
وجود الخلق فى ذلك لم يظهر للاجر عين والكلام فى هذا واسع * واعلم أن العبد يستفيد بتركه الطلب للاجر
الأدب مع سيده والمحبة والتقرب لان السيد اذا رأى عبده مقبلا على عبادته محبة فيه وتعظيما له خلع عليه خلع
الرضا وأنعم عليه بأمور لم تكن فى خياله وهذا بخلاف من علم منه أنه يعبده لشئ فانه مطلوق العنان وغاية السيد
أن يعطيه ما عبده لأجله مع ما فيه من النكد وسوء الأدب وخوف المقت وهذا مشاهد فيمن يخدم السلطان محبة
ولا يسأله شيأ مطلقا فيعطيه الاقطاعات وغيرها بلا سؤال بخلاف من يسأل على خدمته منه شيأ أو يرفع له
قصة أو يسأله التقريب فانه يثقل عليه أن يكون من أهل خدمته ويمل منه حيث ظهر له منه أنه لا يخدمه الا
لشئ يعطيه له فافهم ذلك فعلم أن العبد ينبغى له أن يثق بضمان الله تعالى ولا يكون عنده اتهام لله تعالى فى شئ لأنه
عبده والعبد ليس له عند شئ يطلبه منه ويتهمه فيه فمتى لم يكن له وثوق بضمان الله ووعده فهو ناقص الايمان
وعلامة الوثوق أن يتساوى عنده الغائب والحاضر بلا فرق فاحذر أن يكون فى باطنك اتهام لانه عند الله
كالتصريح باللسان وأنت لو قلت صريحا أنا لا أثق ولا أصدق بما وعد الله تعالى حكمت الشريعة بقتلك فمن هو
عند الله بهذه المثابة كيف يعد نفسه مسلما لان الاسلام هو التصديق لله فى جميع ما أخبر فافهم ذلك وذلك ان
العبادة بلا علة من طلب ثواب وغيره من أحوال المريدين يتلبسون بها ذوقا أول دخولهم فى الطريق ولذلك قال
بعض العارفين نهاية الفقيه مبتدأ الفقير لان أعلى أحوال الفقيه ان يخلص فى علمه وعمله لله تعالى ويشهد
اخلاصه ولا يطلب عليه ثوابا لا يذوق غير هذا وهذا أول دخول المريد فى الطريق ثم يترقى الى مقامات وأحوال
بحسب حظه ونصيبه الى أن يغيب عن ملاحظة نفسه هذا كله بما كشف له من جلال سيده وعظمته لأن من
ذاق شيأ من ذلك شغله وانظر العبد لما تصيبه مصيبة يصير صاحبه جالسا وهو يدخل ويخرج فاذا قال له لى
زمان جالس يقول له والله من الهم ما رأيتك مع سلامة حاسة بصره لكن القلب مشغول والجوارح تبع له فافهم
ويقول الفقيه فى العبادة بلا علة وطلب ثواب تلك مرتبة الخواص وهو معذور لانه ليس له قدم فى الترقى بخلاف
الفقير فانه لم يزل فى الترقى وكلما ترقى الى مقام تركه وكل مترق فى حال ترقيته لا يذوق أن فوق ما ترقى اليه مقام

ولذلك اتخذت المشايخ الذين سلكوا قدوة لأنهم كلما رأوا الفقير ترقى الى مقام أعلموه بأن وراءك كذا وكذا
أنت بعيد فاذا ترقى رأى ما ذكروه له قبل ان كان ذاقه وثق بهم وقوي يقينه لأنها طريق غيب لا تسلك الا
بدليل وقد قال الجنيد رضي الله عنه مكثت نحو عشر سنين أتوقف في قولهم يبلغ الذاكر الى حد لو ضرب وجهه
بالسيف لم يحس به حتى وجدنا الامر كما قالوا و بصير من ذاق و يقول لمن لم يذق انا ذقت فلا يقبل منه يقينا انما هو
تقليد ولما دخلت في طريق المحبة للقوم فذقت هذا الحال فكنت لا أتعقل أن أحدا يعبد الله لطلب ثواب ولا
لخوف عقاب قط وأقول أي فائدة لما جاءت به السنة من الاحاديث في الترغيب في العبادات والترهيب في
ارتكاب المحرمات فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في عالم غير هذا وقال لي لو لم نبين للخلق مراتب العبادات وما
فيها من الثواب ومراتب المحرمات وما فيها من العقاب لقامت الحجة علينا في الآخرة وقيل لنا هلا بينتم
مراتب الاحكام وما فيها من الثواب والعقاب لكنا بادرنا اليها في دار الدنيا فقد بينا فزال عني ما كنت أجده
وعلمت ما علمت فصلى الله وسلم عليه ما أحسنه من معلم و بالله التوفيق ومن شأنهم الرضا عن الله تعالى في كل حالة
يكونون عليها فلا يكون عندهم سخط لشئ مما يجري به عليهم ولا ازدراء لما أعطاه كائنا ما كان فان الحق سبحانه
وتعالى أعلم بمصالحهم منهم فلا يفعل بهم الا خيرا وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم الآية فالحكمة الالهية كاملة
لا يقتضي أن يعطي العبد غير ما أعطى من أعلى وأدنى فلو أعطى غير ذلك فسد حاله كما يشير اليه الحديث
القدسي ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنى ولو
أفقرته لفسد حاله اذا علمت ذلك وعلمت أن كل من أعطى شيأ فهو الأكمل في حقه والاصلح حكمة بالغة من حكيم
عليم فالاكمل في حق الانبياء النبوة وفي حق الولي الولاية وفي حق المؤمن الايمان وفي حق العالم العلم وفي حق
المحترف الحرفة وفي حق غير المحترف عدمها وهكذا * وهنا أسرار يعلمها أهل الله تعالى فطلب العبد الانتقال من
الحالة التي هو فيها اختيار غير ما اختار الله له وهو مؤذن بانه يدعي انه أعلم بمصالحه من الله وكفى به جهلا وكفرا وكل
ما ذكرناه مأخوذ من قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى فافهم وسيأتي زيادة على ذلك في مقام الرجاء
والرضا ومن شأنهم أن لا يشهدوا لهم ملكا لشئ لا باطنا ولا ظاهرا والمدد من شهود ذلك ذوقا لا علما لأن الذوق
لا يتوقف على دليل فهو أقوى وصاحب العلم لولا الدليل ما علم ولا ينسب الملك الى من نسب اليه دليله فالقاصر
من الفقراء يغلب عليه شهود الملك لله تعالى مع قطع النظر عن ملك الخلق أصلا ورأسا ولا يرى تحريم شئ من
غصب وربا ونحوهما و يقول كل من أخذ من ملك سيده شيأ فهو له ولا يصير عنده دليل يزاحمه ولذلك يقع النزاع
بينه وبين الفقهاء لغلبة كل واحد على صاحبه وصاحب العين الواحدة أعور وقد ذقت هذا الحال ولكن
حفظني الله من تناول ما حرمته الشريعة حتى خلصني الله منه فالكامل من الفقراء من يشهد الملك لله رب
العالمين مع شهود نسبة الملك للعبد لا يحجبه هذا عن هذا لانه يشهد ان ملك العبد بتمليك الله تعالى له فضلا منه
ونعمة فليس هو بملك حقيقي لأن ذلك انما يكون للواجد انما هو نسبة شرعية يحرم غصبه وسرقته بغير طريق
شرعي فلم يخرج عن ملك الله تعالى بنسبته الى عبده قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه احذر من دعوى
الملك لشئ من باطنك وظاهرك لأن كل عبد ادعى ملكا حقيقة فليس بمؤمن لان الله تعالى قال ان الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فالمؤمن من باع نفسه لله تعالى يعني انه لم يبق عنده منازعة لله فيما هو له تعالى
فاحفظ نفسك من دعوى تسلب عنك الايمان والزم الادب فانه باب لكل خير ولا تجادل فتهلك * واعلم أن
السبب الموقع للانسان في دعوى الملك كونه خليفة وكون أن الحق تعالى قال في حقه وما ملكت ايمانكم
ونحوها من الآيات ولم يقل ذلك لسوى الانسان وما ثم موجود يقر له بالعبودية فيقال عبد فلان الا هو وكذلك
شرع له العتق وجعل له ولاء العبد المعتق اذا مات من غير وارث كما ان الارث لله من عباده قال تعالى انا نحن
نرث الارض ومن عليها فاصحاب النظر القاصر وقفوا مع ظاهر ما نسب اليهم وأهل الله علموا الوجوه من ذلك
وكادوا أن يذوبوا من الحياء والخجل لعلمهم باسرار خطاب الحق لهم وما فيه من التوبيخ والتقريع لانهم أهل
القرب والمجالسة فهم يفهمون انه لولا علم منا المنازعة له ودعوى الملك لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

وأموالهم

وأموالهم وكذلك قوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ونحو ذلك من الاغيار ولذلك قال بعض العارفين اللهم لا تجعلنى منهم ومن شأنهم أن يروا جميع النعم التى بايديهم بوجهين وجه نعمة ووجه بلاء ومحنة فربما أتت النعم فى المحن فالعبد يعطى الوجهين حقهما فيرى النعم من وجه النعمة ويعترف بعجزه عن القيام بشكرها ويراها من وجه البلاء والمحنة فيخاف من المكر والاستدراج قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فاذا نظرها بهذا الوجه أمن ان شاء الله من التكبر بها على من لم يعطها لأن النفس اذا رأت ما فيه من النعم الظاهرة والباطنة من الاحوال والعلوم والمواهب والمعارف والكشوفات ورأت تعظيم الخلق لها بسبب ذلك طغت وتكبرت قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى واعلم أن البلايا أكثر من النعم فى الدنيا فانه ما من نعمة ينعم بها الله على عبده تكون خالصة من البلاء فان الله تعالى يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها بالايجاد وأن يصرفها فى الموطن الذى أمر الحق تعالى أن يصرفها فيه فمن كان شهوده فى النعم كل الشهود متى يتفرغ من الالتذاذ بها حتى يغيب عن شهود النعم بالمنعم وكذلك فى الرزايا هى فى نفسها مصائب وبلايا ويتضمنها من التكليف ما تضمنه النعم من طلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق تعالى فى رفعها وتلقيها بالرضا والصبر الذى هو حبس النفس عن الشكوى بالله الى غير الله وهذا غاية الجهل بالله لأنك تشكو القوى الى الضعيف لما تجد فى حال الشكوى من الراحة مع كونك تشتكى الى غير مشتك لأنه لا يقدر على دفع ما نزل بك الا من أنزله فقد علمت أن الدار دار بلاء لا يخلص فيها النعيم من البلاء وقتا واحدا وأقله طلب الشكر من المنعم بها عليه عليها وأى تكليف أشق منه على النفس وكذلك قول الله تعالى وقليل من عبادى الشكور لجهلهم بالنعم انها نعم يجب الشكر عليها يؤيد ما قلناه قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور فى حق راكب البحر اذا اشتد الريح عليه وبرد فيما فيها من النعمة يطلب منه الشكر وبما فيها من الشدة والخوف يطلب منه الصبر فافهم وتدبر كلام الله تعالى تجد فيه كلما يقرب اليه تعالى من جميع العلوم فعامله بالادب يخلع عليك العلوم والا فكيف تطلب أن تدخل الى حضرته وأنت لم تتأدب معه فالزم الادب يعطك فوق ما تأمل والسلام * ومن شأن العبد أن يرى جميع ما يأتى اليه على سبيل العبودية والذل والخضوع من الطاعات كله نقص وقلة أدب قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره فيرى جميع طاعاته ناقصة يستحق عليها العقوبة لولا عفو الله تعالى ولو بلغ أعلى درجات كمل الاولياء وذلك بالنظر لجلال الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مع أنه قام حتى تورمت أقدامه وكان لا يضيع له وقت فى غير عبادة فصلى الله وسلم على معلم الخير وسيد العبيد وقد قال الامام الغزالى رضى الله عنه ان العبد ليسجد السجدة وفيها من الخشوع والخضوع ما يظن انه بلغ به الى أعلى عليين ولو قسمت ذنوبه فى تلك السجدة على جميع أهل الارض لأهلكتهم أجمعين فانظر أحوال العارفين ورؤيتهم التقصير فى أعلى عباداتهم واسلك سبيلهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين *ومن شأنه أن يأخذ بالاحوط لدينه ويخرج من خلاف الائمة رضى الله عنهم ما استطاع فلا يتهاون فى فعل السنن الواجبة فى غير مذهبه ولا يرتكب المكروهات المحرمة عند غيره فيعاملها معاملة الواجب والحرام فيجتنب المكروهات كأنها حرام ويفعل السنن كأنها واجبة فيمسح رأسه جميعا ان كان شافعيا ويتطهر من نجاسة الكلب ان كان مالكيا بنية النجاسة لا التعبد وبهما قياما بالامر لحديث فاغسلوه سبعا ويتوضأ من مس الفرج ان كان حنفيا وغير ذلك مما لا يحصى لان من كانت عبادته صحيحة على جميع المذاهب أولى من كونها باطلة عند بعض المذاهب هذا مذهب العارفين من أهل الله تعالى فعلم أن مرتبة المكروهات والمندوبات عندهم رضى الله عنهم كمرتبة الحرام والواجب فى الاعتناء والتعظيم فقط لا فى المشروعية فافهم فان من بلغ هذا المبلغ لا يجهل عن الله تعالى مراتب أوامره ونواهيه لانهم أهل مجالسته فلهذا يرون أنه ليس فى مخالفة الله تعالى شئ جائز ولا فى امتثال أمره شئ غير واجب فهم كالغافلين عما اصطلح عليه العلماء من تسمية بعض الاوامر سنة وبعضها واجبا لقوة التعظيم عندهم هكذا شأنهم فى معاملتهم مع ربهم فلذلك رفع قدرهم فى الدنيا والآخرة ولا يتوهم من هذا انهم يصيرون قائلين بمذهب الظاهرية لأن ذلك منزع وهذا منزع وقد ثبت الفرق بين رتبتى الفرض والتطوع فى حديث هل على

غيرها قال لا الا أن تطوع وحديث لا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث وغيرهما اذا علمت ذلك
فينبغي لمن سلك طريق العارفين أن يتوب من ترك السنة كما يتوب من ترك الواجب ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض الحديث وقوله سبحانه وتعالى في حقه وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى فافهم وهذا هو اللائق بالادب مع الله تعالى ورسوله وكلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى عظم
أمره ونهيه وكلما بعد تهاون وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه والعبد
لا يجازى بتعظيمه لأمر الله تعالى الا المحبة والقربى ولا يجازى بضد ذلك الا المقت والبعد وليس فهم الانبياء عن
الله تعالى كفهم الأولياء ولا فهم الأولياء عنه تعالى كفهم آحاد الناس لان تعظيم كل أحد على قدر معرفته به
ولا ينبغي لاحد أن يتعرض على من جنح الى أمر فيه تعظيم الله تعالى فان في الاعتراض عليه قلة أدب مع الله تعالى
وكيف يرجع الى كلام المعترض من قلبه مملوء بعظمة الله تعالى وقد أخذ بجامع قلبه وان وافق المعترض في
الظاهر لا يمكنه موافقته في الباطن فافهم واعلم أنك كما تدين تدان وكما يكون أمر الحق عندك كذلك تكون عنده
وروى الحاكم مرفوعا من كان لا يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث
أنزله من نفسه وبالجملة فمن نظر الى ما الخلق فيه من المصائب والفتن والمحن الظاهرة والباطنة سهل عليه المناقشة
فيما لا يفهمه ووكل ذلك الى أهله فلكل رجال مقام يذوقونه فيما بينهم ومن فهم هذا توقف عن الانكار على غيره
لأنه سالك من طريق غير طريقه فلا يعترض الفقيه على النحوي ولا المقرى على الاصولي ولا الفقيه على الصوفي
وبالعكس لان لكل فرقة اصطلاحا فيما بينهم وكلامنا في الاعتراض بالفهم من غير مستند شرعي والا فلو رأينا
الصوفي يتربع في الهواء لا نعبأ به الا ان امتثل أمر الله تعالى واجتنب نهيه في المحرمات الواردة في السنة مخاطبا
بتركها كل الخلق المكلفين لا يخرج عن ذلك أحد منهم ومن ادعى أن بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه
التكاليف الشرعية من غير ظهور أمارة تصدقه على دعواه فهو كاذب كمن يشطح من شهود في حضرة خيالية
على الله وعلى أهل الله ولا يرفع بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقف عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف
عنده فهذا مطرود عن باب الحق مبعد عن مقعد الصدق وحرام على الفقيه وغيره أن يسلم لمثل هذا وحرام على
هذا أن يتكدر من نصحه لان نصحه بما يعلم وبما بلغ اليه عقله وحرام على الفقيه أن يتكدر من نصح الولي لانه
أعلى منه فهما في أحكام الله تعالى وقد نصحه فيما وصل اليه علمه ولا يتوهم أن علم الأولياء وغوصهم في فهم الاحكام
يتوقف على الآلات عند غيرهم كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك فان الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه فيعطي من
شاء ما شاء كيف شاء فافهم * واعلم أن جميع اعتراض الخلق على بعضهم سبب لترقيهم وتنظفهم من رذائل
الاخلاق وهو رحمة من الله تعالى ونعمة على عباده لأنهم لم يزالوا بخير ما تناصحوا وكلهم قاصد بنصحه الخير لأخيه لأنه
يرى ما يدعوا اليه أنفس وأفضل من غيره وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون فان الأولياء انما
تميزوا عنهم بالعمل فانتجهم ذلك قوة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ففارقوهم به فلذلك وقع التنازع بينهم من
المقصرين فحكمهم مع الأولياء كحكم الرصاص في دائر شبكة الصياد والأولياء قانصون حبل الشبكة فاذا
جذبوا الحبل انجر جميع الرصاص فالقاصرون من باطنهم ولا عكس وأما العلماء العارفون بالله تعالى فهم
مستصغرون علمهم وفهمهم ويعلمون أن فوق فهمهم ومعرفتهم درجات ولولا ما ذكرناه من تمايز الرتب لكان
كل من صلى وصام كأبي بكر رضي الله عنه مثلا في درجته لانه فعل كفعله ولكان العالم كله لا تفاضل فيه وقد قال
الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فالأولياء تميزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها
أحد وقد ذكر شيخنا رضي الله عنه في تفسير سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة
وتسعة وتسعين علما وقد ذكرت غالبها في كتابنا تنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء فراجعه اذا علمت
هذا فالتسليم أسلم وكنت كثيرا ما أسمع شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رضي الله عنه يقول الاعتقاد ان لم
ينفع ما يضر والفقيه اذا لم يكن له المام بطريق القوم وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذتهم فهو جاف اه واعلم
أن طريق القوم على وفق الكتاب والسنة فمن خالفهما خرج عن الصراط المستقيم كما قال سيد الطائفة ابو القاسم

الجنيد

الجنيد رضي الله عنه فلا تظن أنهم كانوا كحال غالب المنسوبين الى التصوف في هذا الزمان فنسيء الظن بهم انما
كانوا رضي الله عنهم عالمين باسرار الشريعة صائمين قائمين زاهدين ورعين خائفين وجلين كما يعلم ذلك من تراجمهم
وطبقاتهم وانما أنكر من أنكر على المتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست
مرات منهم فكل قرن بالنسبة لمن قبله يصح عليه الانكار اذا ادعى أنه على طريقة من كان قبله لأن الناس
لم يزالوا راجعين القهقرى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
الحديث وانظر قول أبي بكر الشبلي رضي الله عنه قال لي أستاذي أنظر يا ولدي ان خطر ببالك من الجمعة الى
الجمعة غير الله تعالى فلا تعد تأتينا فانه لا يرجى منك أن تكون تلميذا فاذا كان هذا حال تلميذهم فكيف حال
شيخهم فتأمل حال هذا التلميذ وحال مشايخ الآن تعرف الفرق وقد قال الحسن رضي الله عنه ما رأيت أعبد من
السري رحمه الله أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت وكان رضي الله عنه يقول لنا
اجتهدوا قبل أن تصيروا عاجزين مثلي وكنا اذ ذاك لا نقاوم اجتهاده ونحن شباب فرضي الله عنهم أجمعين وبالجملة
من تربى على يد ولي عارف بالله حقق باب العبودية وآدابها وسيأتي في الخاتمة آخر الرسالة ان شاء الله تعالى جملة
من آدابها والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

الباب الثاني في طلب العلم النافع ان شاء الله تعالى

اعلم أن عمدة هذا الباب الاخلاص فيه لله تعالى ومن علامات الاخلاص أن لا يتكدر ممن نسبه الى الجهل وعدم
الفهم ولا ممن قال فيه ان فلانا يتعلم العلم حجة عليه أو فلانا لا يعمل بعلمه وغير ذلك فيتساوى عنده نسبته للجهل
ونسبته للعلم على حد سواء ومن علامة ذلك أيضا أن لا يجد في نفسه حلاوة لما تكبر حلقة درسه ويعظم في أعين
الخلق بذلك فافهم ومن شأن طالب العلم أن ينظف باطنه من الخصال المهلكة كالكبر والحرص ودعوى
العلم ومحبة الدنيا لأن أهل البر والمساعدة قد انقرضوا فلا أقل من رفع الهمة عن الطمع فيما بأيدي الخلق البخلاء
فمن طمع الآن في دنيا تصيبه من أجل علمه فقد طمع في غير مطمع وباع دينه بلا شيء وياليته كان بالدنيا فيكون
في ذلك توهم فائدة في التوسعة على نفسه وعياله على أنه يضرب عن العمل بالعلم صفحا فأحسن الناس الآن من
كان محترفا بما يعود عليه ثمرته في دنياه بعد أن يعلم ما يجب عليه تعلمه وما علمه من العلم كفاية وقد مر ابراهيم بن
أدهم رضي الله عنه على حجر مكتوب عليه قلبني تعتبر قال فقلبته فاذا هو مكتوب على باطنه أنت بما تعلم لا تعمل
فكيف تطلب علم ما لم تعلم اهـ واعلم أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه ويصير عليه الأنس والخير الا ان
كان معتقدا في طائفة الفقراء مخالطا لهم فبذلك يثمر له العلم العمل لانهم ينبهونه على الدسائس المانعة للقلب
عن قبول الخير لان العلم قوة للنفس وكلما كثر قويت وتكبرت وأبت عن الخير وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد
السلام مما يدلك على صحة مذهب الفقراء كثرة كراماتهم وما رأينا أحدا من الفقهاء وقع على يديه كرامة الا ان
سلك مناهجهم ومن لم يؤمن بكراماتهم حرم بركتهم وقد شاهدنا كل من أنكر على الفقراء من غير دخول في
طريقهم يصير على وجهه كآبة وعلامة على الطرد والمقت لا تخفى على ذي بصيرة ولا ينفع الله تعالى بعلمه أحدا
بخلاف أهل الاعتقاد فيهم وقد كان الشيخ يحيى النووي رضي الله عنه يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي
رحمه الله يعرض عليه بعض مسائل يقف في فهمها عند نقلها فلو كان الفقراء لا يفهمون اسرار الشريعة أكثر
من علماء الشريعة لما راجع النووي مع جلالته وقوة اعتقاده وصلاحه شيخه المذكور في الاحكام ولا يموت
شيخ الا ويخلفه شخص آخر على قدمه لان المراتب لا تنتقص أربابها والاعتقاد يجر الشخص اليهم والى معرفتهم
والانتقاد يضرب بينهم وبينه بسور فعلم أن الفقراء ثابتون على قواعد الشريعة وانما أنكر ذلك القاصر من
الفقهاء على القاصر من الفقراء وأما الكاملون في كل فريق فليس بينهم انكار لانهم في طريق أوحد فالفقيه
القاصر لما يسمع القاصر من الفقراء يقول ليس للعبد فعل لغلبة شهود ذلك عليه يقول له الفقيه أنت جبري
مبتدع أو يسمعه يقول ليس للعبد ملك ينكر عليه وهو مصيب في انكاره لان كلا منهما قاصر عن تحقيق الأمر في
ذلك فافهم ذلك وقد قال الشافعي رضي الله عنه مكثت نحو عشر سنين وأنا بين خاطر يدعوني

الى طريق الفقهاء وآخر يدعونى الى طريق الفقراء فاجتمعت بشخص من أولياء اليمن فكاشفنى وعرف ما فى قلبى وقال رضى الله عنه ياولدى مبتدأ الفقير نهاية الفقيه لان مبتدأ الفقير الفقر عن كل شئ والاخلاص لله تعالى فى جميع عباداته ولا يطلب منه عوضا على عباداته وهذا نهاية الفقيه ثم يترقى الفقير فى درجات القرب والمواهب ثم قال أحببت أنى أريك شيأ من ثمرة العلم الذى تريده وثمرة الفقر فارسل الى شخص من أكابر العلماء أن يأتى وأمر الجماعة أن لا يقوموا له ولم يفسحوا له فجاء فلم يجد الا موضع النعال ولم يلتفت أحد اليه فتكدر وكاد أن يكفرهم فقال الشيخ يافقيه أجد فى نفسى منك شيأ فقال وأنا أيضا فى نفسى منكم شيئان وقرن بين أصبعيه وولى ساخطا يسب الشيخ وجماعته فقال انظر ثمرة هذا العلم الذى تطلبه ثم أرسل الى فقير من آحاد الفقراء فجاء ووقف ولم يجد الا كالاول وسلم ولم يرد عليه أحد السلام سوى واحد فضحك ووقف صف النعال وأدارها لهم فقال له الشيخ أنا فى نفسى منك شئ قال ياسيدى أنا أقول أستغفر الله وكشف رأسه فقال انظر ثمرة طريق الفقراء قال فلزمت طريق الفقراء الى أن صرت كما ترونى فتأمل يا أخى هذه الحكاية واشتغل بما يثمر لك هذه الثمرة واحذر أن تكون ممن يكثر من جمع العلم بغير عمل اعتمادا على الاحاديث الواردة فى فضل العلم كقوله صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل أو العلماء ورثة الانبياء فقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد ٢ هدى لم يزدد من الله الا بعدا واعلم انه ٣ مامات بالارث للانبياء عليهم السلام على الحقيقة الا المحدثون الذين رووا الاحاديث بالسند المتصل الى النبى صلى الله عليه وسلم كما قاله شيخنا فلهم حظ فى الرسالة لانهم نقلة الوحى وهم ورثة الانبياء فى التبليغ والفقهاء بلا معرفة دليلهم ليس لهم هذه الدرجة فلا يحشرون مع الرسل انما يحشرون فى عامة الناس فلا ينطلق اسم العلماء حقيقة الا على أهل الحديث وكذلك الزهاد والعباد وغيرهم من أهل الآخرة اذا لم يكونوا من أهل الحديث حكمهم حكم الفقهاء الذين ليسوا من أهل الحديث فيحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم بأعمالهم الصالحة لا غير كما أن الفقهاء يميزون عن العامة فى الدنيا لا غير اذا علمت ذلك وقلة جدوى علمك بلا عمل ولا يتيسر لك عمل لعدم تنظيف باطنك فاجتمع بمن يدلك على طريق الصواب قال تعالى وائتوا البيوت من أبوابها وقد اجتمع الشيخ عبادة المالكى رضى الله عنه بسيدى الشيخ مدين رضى الله عنه فلم يعظمه ولم يلتفت اليه فقال ياسيدى مامنعك أن تعطينى حقى فى الاكرام فقال كيف وأنت مشرك فقال له وماوجه اشراكى قال حالك الذى أنت فيه الآن وطلبك التعظيم والخضوع لك وليس ذلك الا لله تعالى فمن ينازع الله فيما يستحقه ويطلب أن يكون له مثله كيف يكرم وانما يستحق الاهانة والاحتقار فسكت الشيخ عبادة ساعة ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله تبت الى الله تعالى وهذا أوان دخولى فى الاسلام يعنى كماله وصدق رحمه الله لان الاسلام هو الانقياد وترك المنازعة لله فى أوصافه ومايستحقه وملازمة الاعمال الصالحة ورؤية نفسه انه أحقر خلق الله المؤمنين فافهم أرشدنا الله واياك الى الصراط المستقيم فانه بقدر استقامتك على الشريعة يكون استقامتك على الصراط سواء وبقدر اعوجاجك عنها يكون اعوجاجك عليه فاسأل الله الاستقامة فان بيده ملكوت كل شئ * ومن شأنه أن لا ينشر عمله ليصدقه الناس وانما ينشره ليصدقه الله وان كان لام العلة موجودة فعلة تكون بينه وبين الله تعالى من حيث أمره خير من علة تكون بينه وبين الناس من حيث نهاه ولعلة ترد العبد الى الله خير من علة تقطعه عن الله فمن أجل ذلك عطف العبد بالثواب والعقاب اذ لا يرجى ولا يخاف الا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصدقا وكفى بالله عالما ومعلما * ومن شأنه أن لا يجادل فى العلم الا بما هو قطعى لان شرط المجادل عندهم أن يكون على يقين مما يجادل به وليس ذلك الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأهل الكشف رضى الله عنهم وأما غيرهم فغاية أمره الظن أو الوهم لانه بالاجتهاد وفى المتقن من أمور الشريعة الظاهرة كفاية لمن وفقه الله ولا يحتاج الى مجادلة لان القلوب حجبت عن فهم أسرار الشريعة لعدم اصلاح الطعمة ولأمر يريده الله تعالى واعلم ان من جادلك فى أمر وأكثرت عليه فيه ولم يرجع فاعلم أنه مملوك تحت سلطان الاسم القاهر له فلا

٢ قوله ولم يزدد هدى لعله رواية والا فالمشهور زهدا اه ٣ قوله مامات لعله مافات اه

يرجع الى كلامك حتى ينقضي زمان القهر كما أنك أنت الآخر لا ترجع الى ما عنده لانك تحت القهر كذلك ومقام العبد يظهر من كلامه لا سيما ان صمم عليه والظاهر عنوان الباطن فكل من تكلم انما تكلم عن ذوقه وما هو غالب على باطنه فكله الى مشيئة الله تعالى فيما هو عندك باطل واتبعه فيما هو حق فافهم ذلك * ومن شأنه أن لا يقتصر على التعلم دائما بل يكون له عمل غير العلم من قيام الليل والصدقات بما تيسر وترك الأذى لكل بر وفاجر واعلم أن من المكر بالعبد أن يرزق العلم الذى يطلبه العمل و يحرم العمل به أو يرزق العمل و يحرم الاخلاص فاذا علم العبد هذا من نفسه أو من غيره فليعلم أن المتصف به ممكور به فاذا علمت ذلك فقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل فيما بينه وبين الله غير العلم فان العلم غالبه ظاهر للناس وكلما ظهر للناس من علم أو عمل كان قليل الجدوى فى الآخرة اه و يدل لهذا تقسيمه رضي الله عنه الليل وجعله أثلاثا وجعل منه ثلثا للتهجد مع قوله الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة فافهم فان لكل وقت من ليل أو نهار اشتغالا بأمر مناسب له فالأفضل فى الاسحار التهجد والاستغفار وفى يوم الجمعة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوة القرآن وهكذا كما يشهده أهل القرب من الله تعالى فيجد والكل عبادة حلاوة فى فعلها فى الزمن المناسب لها وأما غيرهم فهم يخبطون خبط عشواء فتارة يصيبون وتارة يخطئون ومثالهم عند اشتغالهم بخلاف الأول مما لا ضرورة اليه مثال من اشتغل عند طلوع روحه بالنحو واللغة وغمه عدم معرفتها * ورؤى الامام أبو حنيفة رضي الله عنه بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال هيهات ان للعلم شروطا وآفات قل من يتخلص منها قيل فغفر لك بماذا فقال بتسبيحة كنت أقولها بالغداة والعشى وكذلك أئمة الطريق كالجنيد وغيره فاعلم ذلك ومن شأنه أن يتأدب مع الله تعالى ولا يتكلم الا فيما يعلم فيؤمن بالمتشابه من كلام الله تعالى و يقف على حد ما يعلمه الله منه ولا يخوض فيه من غير تحقيق والعلم بالمحكم من كتاب الله تعالى كاف لمن يريد العمل وأما المتشابه فان كشف الله عن بصيرته رأى الأمر المراد منه على نزاع فى ذلك أيضا والا فالأدب الوقوف عن الخوض والتأويل الى ما يفهمه هو وقد قال شيخنا رضي الله عنه من أراد أن يحفظ من تزيين الباطل فليقف عند ظاهر الكتاب والسنة لا يزيد على الظاهر فان التأول قد يكون من التزيين فما أعطاه الظاهر جرى عليه وما تشابه عليه وكل علمه الى الله تعالى وآمن به فهذا متبع ليس للتزيين عليه سبيل ولا يقوم عليه حجة عند الله تعالى فان كان من أهل البصائر فهو يدعو الى الله على بصيرة و يتكلم عن بصيرة فقد برئ من التزيين فهو صاحب علم صحيح وكان من أهل الزينة لا من أهل التزيين اه فعلم أن وقوف العبد عن الخوض فيما لا يعلم من الدين هو الحق وقد سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية فقال لا أعلم فكأن السائل استبعد ذلك فقال أبو بكر رضي الله عنه أى سماء تظلني وأى أرض تقلني ان قلت فى كتاب الله ما لم يرده فلا يحل التكلم على معنى ذلك الا لمن يصدق عليه قوله تعالى فى حقه فى الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر و بي ينطق الحديث فيكل العبد ما لا يعلم الى العالم به ولا يطلبه بالفهم فيفوته حظ الاقبال على الله تعالى ويسيء الأدب و يتعرض للمقت و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وهكذا ايمان السلف رضي الله عنهم أجمعين فانهم سلموا بنور الايمان علم ذلك الى الله تعالى مع الايمان والتحقيق لما تعطيه تلك العبارات من المعاني بالتواطؤ عليها فى ذلك اللسان المبعوث فيه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فالتسليم من كل قاصر عن درجة الكشف واليقين أولى من التأويل لأن غالب الناس ليسوا من أهل الفهم عن الله تعالى لجهلهم و بعدهم بحظوظ أنفسهم عن فهم كلام ربهم وقد وبخ الله تعالى من هذا حاله فقال فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله فمن أراد الوقوف على فهم معاني كلام الله تعالى فليعمل بما شرعه الله له من التقوى والعمل كما كان الأئمة رضي الله عنهم فانه يفتح له باب العرفان بها الان الحق حينئذ يتولى تعليمه اياها لقوله واتقوا الله و يعلمكم الله ومن كان الله معلمه فهم كل شئ له طريق اليه و يصير الكل فى حقه لا عجمة فيه * واعلم أن كل من عرفه الله تعالى تأويل المتشابه لا يخلص له الا المحكم بما عرفه فلم يزل عن المحكم عليه المتشابه لان غاية العالم الذى علم التأويل أن يعلم تأويله بالوجه الواحد لا بالوجهين لانه صالح للطرفين فالمحكم محكم لا يزول والمتشابه متشابه لا يزول وانما قلنا ذلك لئلا

يتخيل ان علم العالم بما يؤول اليه ذلك اللفظ فى حق كل من له فيه حكم يخرجه عن كونه متشابها ليس الأمر
كذلك بل هو متشابه على أصله مع العلم بما يؤول اليه فى حق كل من له نصيب فيه * ولنذكر بعض ما يخاض فيه
فى الغالب بغير علم فمن ذلك التكلم على الحروف أوائل السور والتكلم على نزول ربنا الى سماء الدنيا ومجيئه
والملك صفا صفا واتيانه فى ظلل من الغمام ومعنى الاستواء على العرش ومعنى القدم والوجه واليد والجنب
والتقرب بالذراع والباع والهرولة وكون قلب عبده المؤمن يسعه وكون يداه مبسوطتين ومعنى قوله لما خلقت
بيدى وتجرى باعيننا والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن والسموات مطويات بيمينه وكلتا يدى ربنا يمين
مباركة والمعية والضحك والفرح والتعجب والتبشبش والبصر والعلم والكلام والحد والمقدار والرضا والغضب
وغير ذلك فهذه كلها وأمثالها أخبار عن الذات أخبر الله تعالى بها عن نفسه والأدلة العقلية تحيل ذلك فان كان
السامع صاحب النظر العقلى مؤمنا تكلف التأويل فى ذلك لوقوفه مع عقله وان كان السامع منور القلب
بالايمان آمن بذلك على علم الله فيه مع معقول المعنى الوارد فى المتلفظ به من يد وأصبع وعين وغير ذلك ولكن
مجهول النسبة الى أن يكشف الله تعالى عن بصيرته ويدرك المراد من تلك العبارة كشفا فان الله ما أرسل رسولا
الا بلسان قومه أى بما تواطؤا عليه من التعبير عن المعانى التى يريد المتكلم ان يوصل مراده فيما يريد منها الى
السامع فالمعنى لا يتغير البتة عن دلالة ذلك اللفظ عليه وان جهل كيف ينسب فلا يقدح ذلك فى المعقول من معنى
تلك العبارة ثم جاءنا الشرع بانه تعالى موصوف بكذا وكذا فقبلناه يقينا وعلمنا معناه بالتواطؤ وعرف اللسان أى
لسان جاءنا فاضاف تعالى المعانى الى نفسه وذاته وانه عليها من يدين وأصبعين وعين وغير ذلك مما سبق بعضه
ووصف نفسه به ووصف نفسه بان العبد اذا تصدق مثلا يطفى بصدقته غضب الله عليه وهذا كله معقول المعنى
مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به على كل انسان خوطب أو كلف به من عند الله وهذا كله خارج عن
الدلالة العقلية الا ان يتأول فحينئذ يقبله العقل فقبوله بالايمان أولى لانه حكم حكم به الحق تعالى على نفسه أنه
كذا مع انه ليس كمثله شئ فنفى عنا العلم بوجه النسبة اليه على وجه الاحاطة فقبولنا العلم بذلك عن نفسه أولى بنا
ان نقبله منه من حكم حكم به مخلوق وهو العقل عليه فمن قدم ما حكم به العقل على ما حكم به الله على نفسه فهو
فى عمى شديد فتأمل هذا المحل فانك لا تجده فى كتاب وقد ذكرنا جملة مما علمه خاص بقدم الولاية فى كتابنا تنبيه
الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء فراجعه * ومن شأنه أن لا يخوض فى التكلم على معنى معاصى الأنبياء
لاسيما صورة معصية أبى المرسلين آدم على المرسلين وعلى نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لان الخوض فى ذلك
خاص بكمل الورثة من الأولياء لأن الوارث له المقام بمقام مورثه علما وان لم يتلبس به ذوقا لان الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام لهم مؤاخذات بحسب مقامهم لا يذوقها غيرهم وغير ورثتهم واعتقادنا التعظيم لهم والتفخيم
لشأنهم كفاية فنحملهم الى أكمل الأحوال صلى الله عليهم وسلم ولا يقال المنع من الخوض فى مثل هذا نقص يصير
به القرآن أعجميا كالخطاب بما لا نفهم لانا نقول قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وليس
أهله الا الأولياء والعلماء الراسخون ونحن مأمورون باتباعهم لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على اسراره
فاذا قالوا شيأ وجب علينا اتباعه (فاعلم) أولا انا نقول ان ما فعله آدم عليه السلام كان بقضاء وقدر لا مرد له وحج
آدم موسى وأيضا فلم يقصد عليه السلام بأكله من الشجرة انتهاك الحرمة انما كان ذلك بتأويل صحيح قصد فيه
وجه الحق حالة الأكل وهذا يقع لبعض العارفين من الأولياء فكيف بآدم عليه السلام فاذا علمت ذلك فمن
عصى بالتأويل فليس بعاص فى حال وقوع الفعل منه لشبهة التأويل وأما بعد وقوع الفعل فيستحق الفاعل انه
عصى عند نفسه ويحكم عليه لسان الظاهر بذلك فهو كالمجتهد فى زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه ان ذلك عين الحكم
المشروع فى المسألة وفى ثانى الحال يظهر له بالدليل انه أخطأ فيكون لسان الظاهر بذلك يحكم عليه انه مخطئ فى
زمان الدليل لا قبل ذلك فافهم وقد قال سيدى أبو مدين شعيب القطب الربانى شيخ الغوث رضى الله عنه لو علم آدم
حين أكله من الشجرة انه ينزل الى الارض ويخرج من صلبه جملة الأنبياء والمرسلين لأكل الشجرة جميعها لما وجد
عليها من البركة فكانت معصية آدم فى غيب الله تعالى من عين المنة عليه فكان ظاهرها فى ظاهر الأمر معصية

وباطنها

وباطنها رحمه اه أى فى حق أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فكما لا يعبأ الله تعالى بهم كذلك لا نعبأ بهم وسمعت شيخنا أيضا رضى الله عنه يقرر فى ذلك تقريرا حسنا فأحببت أن أذكره لان فيه تعظيما لآدم عليه السلام وان كان فيه دقة وغموض على أكثر الأفهام اذ هو خاص بالمحققين من العارفين لانه من اشارات الأسرار فقال رضى الله عنه تعليم الحق لآدم عليه الصلاة والسلام الأسماء اقتضى الاشارة الى أكله من الشجرة ولو لم يأكل منها لعصى الارادة السابقة على انه لا يمكن عصيانها فالعبد مطيع للارادة فى جميع ما يفعله وان عصى فانما يعصى الامر فقط اذ لا تتحرك ذرة الا بارادته ولان مسميات تلك الاسماء التى من جملتها القصعة والقصيعة والفسة والفسية والقدوم والطاحون والمحراث وغيرهما من جميع الآلات كلها كونيات لا تقبل شيأ من المحل الذى كان فيه وعلم عليه الصلاة والسلام ان المطلوب منه استعمال تلك الاسماء ومسمياتها فبقى مترقبا التنزل الى المحل الذى فيه كمال ملكه ومحل خلافته لينفذ أمر مستخلفه تعالى على ما استخلفه عليه بما سيظهر عنه من هذا النوع الانسانى وكان قد علم ان سجود الملائكة انما كان تكفيرا لهم بما قالوه فى حقه حيث نسبوه وذريته الى الفساد وسفك الدماء وعلم أيضا ان المراد منه انما هو القيام بالعبودية وما تقتضيه حقيقة الربوبية والعبودية تذلل وخضوع ولا يكون ذلك الا فى السفليات وعلم أيضا باطلاعه فى اللوح المحفوظ انه لا بد من اظهار خلق منه على هيئته كما أراه الحق ذلك فى عالم الذر حين استخرجهم منه لاخذ الميثاق الاول ومن هناك علم برتبة النبى صلى الله عليه وسلم وبداود الذى سيرث هذه الخلافة مع زيادة أخرى أعم حكما وتصرفا وأكرمه بما وهبه من عمره ليتمم ملكه به فلما تعارضت هذه الحقائق عنده عليه الصلاة والسلام كان لسان حاله مشيرا الى انه علم ان الشجرة المنهى عنها مذكورة له بالامر بالنزول الى محل العبودية والافتقار فانه لولم يعلمه الحق تعالى بتلك الشجرة لما أكل منها قطعا وانما أكل منها لعلمه بأن النهى عن الاكل فيه أمر بالاكل فكان الحق سبحانه وتعالى قال له ان أكلت من هذه الشجرة أنزلتك الى دار خلافتك وهو يعلم يقينا من قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة انه لا بد أن يخرج من الجنة الى الارض فلذلك استعجل واعتمد حين نزوله على السبب التى هى نفسه وطلب بذلك المدح من ربه حيث انه بادر الى المطلوب فعوقب بالذم بدلا عن المدح وأخبر الحق تعالى عنه بأنه كان ظلوما لنفسه جهولا باختياره مع ربه وباتكاله على السبب دون أن كان يتولى الحق ذلك بنفسه والسلام على ان آدم لم يقع منه الاكل الا وهو ناس كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما انتهى كلام شيخنا رضى الله عنه *وقال القطب الربانى سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ما أنزل الله السيد آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض الا ليكمله لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون من حالة الا الا كمل منها فالدوام ترقيهم فتارة يكون الترقى بالتقريب والتخصيص وتارة يكون بالذل والمسكنة وهذه فى التحقيق أتم لانها وصف العبيد فحصل لآدم عليه الصلاة والسلام بذلك عبوديتان عبودية التعريف السابق وعبودية التكليف اللاحق فعظمت بذلك منة الله عليه اه فافهم ذلك واحذر من الانكار فانه المهلك وبالله يرجع عليك فكانت مبادرة آدم عليه الصلاة والسلام للاكل من الشجرة لتحصيل ما سبق فى علم الله تعالى فعوقب على ذلك قبل الاذن الصريح له بذلك والحكمة الالهية لا تقتضى ذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء ولم تزل لله الحجة البالغة على خلقه ليظهر كماله وفضله ولان رتبة العبد انما تحت القهر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام مع علمه بان ما وقع منه بقضاء مبرم ولا مرد له ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولو لم ينسب الحق تعالى للعبيد مخالفة ومعصية لم تظهر له حجة عليهم وتأمل حال ابليس ونقصه فى مجادلته الحق وقوله كيف تأمرنى بالسجود ولم ترده منى فلو أردته لى لوقع فطرد ومقت ولعن لقلة أدبه فافهم ذلك وكذلك لا ينبغى الخوض فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فمعنى الآية فى حقه ولقد همت به لتقهره على ما تريده منه وهم بها ليقهرها بالدفع عنه فالاشتراك فى طلب القهر منها ومنه ودليل ذلك قولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء فى السورة قط انه راودها عن نفسها وقد أشبع الكلام فى ذلك الشيخ فخر الدين الرازى فى تفسيره فراجعه وقد اجتمع بعض العارفين رضى الله عنه بيوسف عليه الصلاة والسلام من طريق الكشف وأخبره بهذا التأويل فقال صدقت

هو مراد الله تعالى من الآية   واعلم أن ما جاء عن الأولياء من طريق الكشف مما فيه تعظيم لله وآداب معه ومع رسله نؤمن به ونتبعه لان التعريف باق لهذه الامة لا التشريع واعلم ان الاحكام الشرعية لا تثبت بالكشف لعزتها ولانه لو فتح هذا الباب تخالفت الاحكام وفسد نظام الشريعة لكثرة المدعين اذا علمت هذا فمثل هؤلاء العارفين هم الذين يفهمون كلام الله تعالى لانهم اذا شكوا في نقل عدلوا الى الكشف الصحيح الذى لا يناقض الكتاب والسنة لان ما يفتح الله تعالى به عليهم لا يعبؤن به الا ان وافق الشرع والا رموا به لانه جهل والجهل عدم واعلم ان الولى لا يأمر أبدا بعلم فيه تشريع ناسخ لشرع نبيه ولكن قد يلهم لترتيب صورة لا عين لها في الشرع من حيث مجموعها وان كانت من حيث النظر الى كل جزء منها أمرا مشروعا فهو تركيب أمور مشروعة أضاف بعضها الى بعض هذا الولى أو أضيفت له بطريق الالقاء فظهر بصورة لم تظهر في الشرع بجمعيتها فاخرج بهذا الفعل عن الشرع المكلف به لان الشارع قد شرع له أن يشرع في مثل هذا بقوله من سن سنة حسنة فليسن الحديث فقد بين له أن يسن ولكن فيما لا يخالف شرعا مشروعا هذا حظ الاولياء من الانبياء فافهم ومن ذلك ما يتعلق بالسيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانه كذب وكذلك السيد لوط والسيد سليمان وغير ذلك مما الانبياء مبرؤن منه ومنزهون عنه وعما يفهمه القاصرون من أحوالهم ولسنا بصدد تقرير جميع ذلك فانه يطول وانما نبهناك بما ذكرناه على ما تركناه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه انه مادام مقلدا للشارع أو المجتهد لا ينبغى له أن يسأل عن علة في الحكم ولا عن فرق بينه وبين حكم آخر لان العلم بلغ نهايته في تولد المسائل من أزمان متعددة وغاية أهل هذا الزمان فهم ما قاله المتقدمون لاسيما والقلوب مشغولة بالبلاء النازل والدين المائل فافهم ذلك * واعلم ان كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة بلا معرفة علة أظهر من العبادة مع معرفتها لان العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة فاذا لم يعلل كان الباعث عليه العبادة المحضة ولان البحث عن علل الاحكام وفروقها ليس من شأن العبد لانه انما كلف بفعل المأمورات وترك المنهيات لا بمعرفة عللها وفروقها وكل من سأله انما سأله عن المنقول في المسئلة من حكمها فقط لان معرفة العلل ليست بشرط في العمل ولان بحث العبد على ذلك يضيع عليه الزمن بغير فائدة ولا يرجع بعد البحث الطويل الا لكلام من هو مقلد له من الائمة لانه لا يتجرأ على العمل بخلاف المنقول ويرى بطلان عبادته وغيرها اذا خالفه فمن فهم هذا استراح من استشكال حكم بآخر وصار فقهه كله بلا اشكال وأمره محمول على من هو مقلده وقد قربت لك الطريق الى تحصيل هذا العلم الذى أنت مشغوف به والزمان لا يحمل أكثر من ذلك كما هو مشاهد ولا يكابر في ذلك الا أعمى القلب لانه مكابرة في المحسوس ومن شأنه ان لا يكون عنده كبر ولا دعوى بعلمه ووسع اطلاعه وليعلم انه كلما ازداد علمه كثر حسابه وتوبيخه في الآخرة مع أن العلم الذى يتكبر به ليس هو علمه لانه ناقل له عن غيره فقط وانما علم الرجل ما لم يسبق اليه بل قال شيخنا رضي الله عنه ان كل من كان علمه مستفادا من النقل فليس بعالم بل يقال انه صاحب صاحب علم لان معنى العلم قائم بالحرف والحرف صاحب للكتاب وقال أيضا رضي الله عنه كل علم يقبل صاحبه الشبهة فليس بعلم فلا يقال فيه علم الا ما كان عن ذوق اذا علمت ذلك فانت بعيد عن درجة العلماء العارفين فكيف تتوهم انك منهم وفي درجتهم وانما أنت تنقل قال فلان أفتى فلان مع أن هذا العلم لا ينزل معك البرزخ منه شئ انما هو من أحكام الدنيا لان الآخرة ليس فيها شئ من هذه الاحكام وشرط العلم أن لا يفارق صاحبه دنيا وعقبى وليس ذلك الا العلم بالله وصفاته وأسمائه والادب معه ومع مصنوعاته وانظر حالك عند النزع هل يصير عندك ميل الى سماع أبواب البيوع والاقارير والدعاوى وغيرها فضلا عن أن تشتغل بها وانما ذلك والله لعلمك بما أنت قادم عليه وانكشاف الامر لك بما ينفع في الآخرة ولو قال لك حينئذ شخص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشئ أفضل من فقه في الدين لا تلتفت اليه حينئذ وتقول له أنت قلبك فارغ فحال أهل الحق طول عمرهم كحالك عند طلوع روحك فكما لا تشتغل أنت حينئذ بالنحو واللغة والتصريف كذلك هم لان الامر مكشوف لهم دائما فلا يصرفوا العمر الا في أنفس الامور رضي الله عنهم واعلم ان ما بايدى الخلق من العلوم

لا يجيء قطرة من بحر علومهم كما يعلم ذلك من كتابنا تنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علوم الاولياء وقد كنت أظن
قبل أن أذوق ذلك أن العلم هو علم الظاهر والنقل الى ان فتح الله لى بعض علوم من معانى القرآن والحديث
فقدرت ماظهر للناس كقطرة من البحر المحيط فلله الحمد وما أوتيتم من العلم الا قليلا واليه الاشارة بقول الامام
على رضى الله عنه أقدر أن أستخرج وقر بعير من العلوم من معنى الباء فافهم ومن شأنه وآدابه مع الله تعالى
أنه اذا قرأ كلاما قرآنا أو حديثا أو غيرهما ولم يعطه الله فهمه فى حال قراءته انه يعرض عنه الى غيره ولا يقف
يتفكر بالفكر فان المحل مشغول فيحتاج الى التنظيف فان القلب اذا كان خاليا من الادناس لا يتوقف فى فهم
شئ وقد كنت فى حال اشتغالى بالعلوم الفقهية أقف فى بعض الاحكام وعللها وفروقها وكنت أسأل عنها شخصا
أميا لا يعرف الالف من الباء يعمل بالفاعل فيجيبنى عنها بأجوبة حسنة تزيل الاشكال ورعا ذكرتها لشيخنا
الشيخ زكريا رحمه الله فاستحسنها وأمر بالحاقها فى كتبه لاسيما شرح البخارى فعلم ان الامى الذى لم يتقدم له
اشتغال بعلم الظاهر والنقل أقرب الى الفتح من الفقيه والمتكلم اللذين لا يعملان بعلمهما وسبب ذلك كما قال شيخنا
رضى الله عنه انه لما كان لا فاعل الا الله وجاء هذا الفقيه والمتكلم ليدخلا الى الحضرة الالهية بميزانهما ليزنا على
الله ردا وما عرفا أنه تعالى ما أعطاهما تلك الموازين الا ليزنا بها ما لله لا على الله فحرما الادب فعوقبا بالجهل بالعلم
اللدنى الفتحى فلم يكونا على بصيرة من أمرهما فان كان من وقع له ذلك وافر العقل علم من أين أتى عليه فمنهم من
دخل الحضرة وترك ميزانه على الباب حتى اذا خرج أخذها ليزن بها لله تعالى وهذا أحسن حالا ممن دخل بها على
الله وأحسن منه من كسر ميزانه وأحرقه أو ذوبه حتى زال كونه ميزانا وقد قال الامام الغزالى رضى الله عنه لما
أردت علم النقل وأسلك طريق القوم خلوت بنفسى وتجردت عن نظرى وفكرى ومكثت أشتغل بالذكر
أربعين يوما فقلت انى حصل لى شئ مما حصل للقوم فنظرت فاذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك فعدت
مرة ثم مرة والحال الحال ولم أذق شيأ من أحوال القوم فعلمت حينئذ ان الكتابة على المحو ليست كالكتابة على
الصفاء الاول والطهارة الاولى وان الرطب المعمول ليس كالجنى انتهى واعلم ان الله تعالى لو أراد للعبد العمل
لفهمه العلم الذى توقف فى فهمه لان العلم بالشئ دائما متقدم على العمل به والا فكيف يعمل عالم بعلم وليس مراد
الله منه الفهم والاحاطة بمعانى الكلام فقط انما المراد العمل وتنظيف محل نظره منه فافهم ومن شأنه اذا استفتى
على شخص من الفقراء فى أمور لا تدرك الا بالذوق أن لا يبادر الى الانكار بل يتحيل فى الرد عنه ما أمكن هكذا
كان شأن شيخ الاسلام زكريا والشيخ عبد الرحيم الانباسى رضى الله عنهما فان رأى ذلك الامر يلزم منه فساد
لظاهر الشريعة أفتى ولام عليه لان صاحب هذا الكلام ناقص فليس من أهل الاقتداء ونصرة الشرع أولى
من الادب معه بخلاف كمل الاولياء كأبى يزيد البسطامى وعبد القادر الكيلانى رضى الله عنهما وأضرابهما
فيؤول كلامهم ما أمكن وقد قال أبو يزيد رضى الله عنه سبحان الله فناداه الحق سبحانه فى سره هل فى نقص
تنزهنى عنه فقال لا يارب فقال الحق نزه نفسك فاشتغل بتنظيف باطنه حتى لم يبق فيه شئ مما يكرهه الحق فقال
حين زال سبحانى والعجب ممن يؤول كلام الحق مع كماله ولا يؤول كلام البشر مع نقصه وعجزه فافهم ذلك ومن
شأنه ترك التعصب لامامه اذا علم ضعف دليله وعلم صحة دليل مذهب الغير لان امامه لم يقل له قلدنى فى كل
ماقلته لعلمه بعدم العصمة من الخطأ وقد قال الامام مالك امام دار الهجرة رضى الله عنه كل أحد مأخوذ من كلامه
ومردود عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وكذلك الامام الشافعى نهى عن تقليده وتقليد غيره كما
صرح بذلك المزنى أول مختصره والحق أحق أن يتبع وقد قال بعض الحنفية رحمه الله عند قوله تعالى فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم منه ان الحق مع الشافعى رضى الله عنه لقوله منه ومذهبه يصح التيمم من على صخر ليس
عليه غبار فرحم الله تعالى هذه الامة ما أشد اعتناءها بالدين وضبطه ومن كلام الشافعى رضى الله عنه اذا صح
الحديث فهو مذهبى وفى موضع آخر اذا رأيتم كلامى مخالفا للسنة فاعملوا بها واضربوا بكلامى هذا الحائط فى
الحقيقة ليس مذهب الشافعى مذهب انما هو شريعة محضة وكل دليل صح فى مذهب غيره ولم يكن صح عنده
فهو مذهبه عملا بقوله فمن نعم الله تعالى على طالب العلم كونه متبعا للحديث فى كل فعل وروى عن الامام أبى

حنيفة رضى الله عنه انه قال لاصحابه حرام عليكم ان تفتوا بكلامى ولم تعرفوا دليلى فعلم ان المتعصب لامامه فى نحو ذلك مخالف لامامه وليس فى عنق امامه منه شئ ولانه ليس كل ما يفهمه المقلد من كلام المجتهد يكون مراداله قطعا ولهذا اختلفت الطرق فى فهم كلام المجتهدين وكل من ترك الدليل والقواعد أخطأ ولذلك لا يزال يخطئ بعض المقلدين بعضا ولو صح دليلهم ماوسعهم ان يخطئوا فاحذر من التعصب واعلم ان جميع مذاهب المجتهدين كلها عند أهل الحق مذهب واحد لا يشهدون فيها تفرقة لاتساع نظرهم لانهم يشهدون العين التى استمد منها المجتهدون كلها واحدة فى شريعة واحدة فهم كلهم داخلون فى السياج وقد ذقنا هذا والحمد لله فلا يؤمر أهل الحق بالتقيد بمذهب معين من المذاهب المشهورة لان جميع المذاهب من باطنهم وهذا أمر يذوقه الفقراء فيصير ذوقهم يعادل ذوق جميع المجتهدين من غير تحصيل آلات الاجتهاد فهم يشهدون الامر أوسع من ان يتقيدوا فيه بمذهب قائل بعض ماعندهم من العلم ويقول الجاهل بأمرهم هؤلاء لا يتقيدون بمذهب فى معرض الذم لهم وهو معذور لانهم لا يسعهم من الله ان ينزلوا الى الأدنى مع قدرتهم على الاعلى والشريعة الصحيحة هى السمحة وهى التى ليس فيها مشقة ولا ضيق ولا حرج فالعلماء الراسخون يشهدون جميع الاقوال المذكورة فى المذاهب كانها فى مذهب واحد محمولة عندهم على أحوال كاجوبته صلى الله عليه وسلم المختلفة والسؤال بعينه واحد كما يعلم ذلك من تصفح السنة واليه الاشارة بخبر أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم كما سيأتى قريبا اذا علمت ذلك فلا يظن المناقضة بين المذاهب الا القاصر عن درجة العلماء العارفين بأسرار الشريعة رضى الله عنهم أجمعين ومن شأنه أن يحذر من التكلم على حصر مراد كل قائل من الشارع صلى الله عليه وسلم والعلماء والاولياء فان التكلم على حصر مراد الغير فى معنى واحد غالبه خطأ قطعا اذ لا يتحد اثنان فى ذوق واحد ومرتبة لوسع الطرق لانها بعدد أنفاس الخلائق فكل صاحب نفس له طريق تخصه فلا يصح أن يقال مراد القائل من هذا الكلام كذا فقط وانما الادب أن يقال الذى فهمته منه كذا ولا يقطع لانه حصر للحق فى مذهب واحد وماذا بعد الحق الا الضلال فمن لم يشهد أن الشريعة واسعة تسع جميع المذاهب لزمه أمر شنيع لا يمكنه الخروج عنه وهو تخطئة بقية من خالفه من الائمة المجتهدين وسائرهم على هدى من ربهم فعلم انه ليس فهم كلام المتكلم أن تعلم وجوه ما تضمنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحتوى عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان انما الفهم أن يفهم ماقصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها فينبغى لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم وهو المطلوب فالفهم عن المتكلم ما يعلمه الا من أنزل القرآن على قلبه وأما الفهم للكلام فهو للعامة فكل من فهم من العارفين عن المتكلم فقد فهم الكلام وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على اليقين له من كل الوجوه أو من بعضها فتأمل هذا التدقيق فانك لا تجده فى كتاب * واعلم انك عاجز عن الاحاطة بفهم كلام جنسك من البشر فكيف لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين فلا ينبغى ان يفسر كلام الله تعالى الا كمل ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبد الله عز وجل ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق مع الجماعة كما قال رجل متى الساعة يارسول الله الحديث بطوله وقال الله تبارك وتعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أكثركم علما وتأمل فى آيات الجزاء فى القرآن تجدها كلها فى العمل فقال هل تجزون الا ما كنتم تعملون جزاء بما كانوا يعملون جزاء بما كانوا يكسبون فهل قال بما كنتم تعملون فى آية من الآيات فافهم ذلك وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل الا للامر بالمعروف مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فاهل الله علموا ان المراد من العلم وتلاوة القرآن الالفاظ والزجر والتخويف وانهم يسألون عن كل مسئلة علموها يعملوا بها واعلم أنه لا يؤثر فى القلوب الا ما قام بها من العلم والتعظيم وتأمل الملك اذا كل من دخل السوق فى صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفونه فانه لا يقام له وزن فى نفوسهم واذا القيه فى هذه الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فاذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك العالم من الملك وان

منزلته لا تعطى ان يظهر منه مثل هذا الفعل الامع الملك علموا انه الملك فغضوا أبصارهم وخشعت أصواتهم وسعوا له وتبادروا الرؤية واحترامه فهل أثر ذلك عندهم الا ما قام بهم من العلم به فاحترموه بصورته فقد كانت صورته مشهورة لهم وما علموا انه الملك لان كونه ملكا ليس عين صورته وانما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته * اذا علمت ذلك فيتدبر على تالي القرآن بعظمة الله تعالى بقدر ما عنده من الخوف لما فيه من الزواجر والتوبيخ ألا ترى شخصان يقرآن فيخشع أحدهما ويبكى والآخر ما عنده من ذلك كله خبر ولا يؤثر فيه فهل ذلك الا من أثر علم الخاشع القائم به لما نزل عليه تلك الآية وشهوده ما تضمنت من الأمر الذى أبكاه وخشع له والآخر أعمى عن تلك المعاني لا يجاوز القرآن حنجرته ولا أثر لتلاوته فيه فلم يكن الاثر لصورة لفظ الآية وانما الأثر لما قام بنفس العالم بها الشاهد لما نزلت له تلك الآية فلا يؤثر فيك الا ما قام بك من حيث ما تعلم وتشهد فلولا علمه بالامور ما هاله ولما ذقت هذا كنت لا أقدر على النطق بالقرآن لا في الصلاة ولا في غيرها الامور يعذر نافيها من ذاق هذا الامر ومن لم يذق فهو معذور ان شاء الله تعالى فلهذا كان أهل الله غائبين عما يقصده غالب القراء بقراءتهم لما فيه من البلاء والمؤاخذة بما أطلعهم الله عليه من الاشارات والتوبيخات وطلب مراعات صاحب الكلام وما يطلب من الطهارة الظاهرة والباطنة لمن يكون من أهل حضرته ويتلو كلامه بحضرته فلم يبق عندهم متسع لغيره فلذلك لم يقبلوا على القراآت بالروايات والجمع بينها الان فيها تضييع العمر والاتعاظ يحصل برواية أبي عمرو مثلا وكذلك الاحكام ولم يقدر أحد من السلف يقرأ بجميع هذه الروايات ولم يعتن بها الانهم علموا ان القرآن عربي ولغة العرب واسعة ففرقة لغتها المد وفرقة لغتها القصر وفرقة تفخم وفرقة ترقق وغير ذلك من وجوه الاداء فجاء من بعدهم فأخذ كل واحد عن لغة قبيلة خوفا من التغيير عما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لغة حمير وهذيل وقريش وغيرهم فرضى الله عنهم أجمعين وما كانوا مقتصرين على نقلها فقط بل كانوا علماء بالله عاملين صائمين قائمين زاهدين خائفين كما يعرف ذلك من طبقاتهم وكذلك الائمة المجتهدون وقد مكث الامام أبو حنيفة رضى الله عنهم خمسين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء وكذلك كل واحد من الائمة فلم يكونوا مقتصرين على حفظ المسائل فقط ومثال من يصرف عمره الى علم القراءة ووجوهها ولا يلقى باله لما في القرآن من المواعظ والتهديدات والتخويفات مثال من أرسل اليه السلطان كتابا يأمره وينهاه بأمور كثيرة فأخذه وقبله وصار يدرس ألفاظه ليلا ونهارا بالمد والامالة والتفخيم والترقيق فارسل اليه السلطان ينظر ما فعل في الاوامر والنواهي فوجده لم يفعل شيأ منها وهو على هذه الحالة فهل هذا مراد السلطان وهل هو فعل من له أدنى عقل فافهم ولا تجادل في ضد ذلك فان وباله عظيم والقرآن والمنطق وغيرها ولا أحد يسأله عنها ولا يوجه اليه فيها خطابا وهو محتاج الى رغيف ولا أحد يلتفت اليه وهو متطلع الى ما في أيدى الناس من أوساخهم من الزكوات والصدقات فيستحل الذل ولا أحد يعطيه شيأ وفوت نفسه العمل من قيام الليل وكسب ما يعفه عن الخلق فهذا هو عمل الابطال لانهم لا يعبؤن بعلم بغير عمل ولا بعمل بغير حرفة تقوم بالعامل لامور تنكشف لاهل الحجب في الآخرة فالاشتغال بالحرفة التي تعفه عن الناس أولى وأفضل في الدنيا والآخرة من الاشتغال بما لا يعمل به مما يكون حجة عليه * فمثال هذا مثال من أقام في بلاد قد خربت ومات جميع أهلها يحمى فرنا من أفرانها ليلا ونهارا رجاء أن يجيء أحد يخبز عنده ومكث سنين على ذلك ولا جاء أحد فنصحه شخص فقال له اترك هذا وانقل الى بلاد العمران واعمل طباخا أو خبازا أو غير ذلك مما تنتفع به ويتعدى نفعه الى الخلق فأبى وقال يحتمل ان الدنيا تعود للعمارة ويجيء ناس يعمرون هذه البلاد ويخبزون عندى واستدام يحمى الفرن ويسهر فلا يستحق بفعله هذا جزاء لا من الله ولا من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة وأتعب نفسه وضيع عمره ولا يقال الحق تعالى أقامه في ذلك فيمكنه الخروج عنه لانا نقول هذا ليس بحجة لانه يحتج بالارادة لأنه لو فتح هذا الباب لرد جميع ما جاءت به الرسل من الأوامر والنواهي وتبيين مراتب الاحكام ولم يكن لنا علم بشرف العلوم وتساوت جميع الاديان لانهم كلهم لم يخرجوا عن الارادة فافهم والزم الادب فهذا المثال السابق مثال من اشتغل بالعلوم التي لا يحتاج أحد اليها ولا يراد بها خوف من الله تعالى * واعلم أن أهل الحق يشهدون جميع

العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضات والمنطق والعلم الطبيعي لها دلالة وطريق الى العلم بالله تعالى فتسمية هذه العلوم حجابا عن الحق لكون الناظر فيها لا ينظر فيها من حيث دلالتها على الحق فلذلك حجبهم عن موضع الدلالة التي فيها على الحق فوضع بذلك الذم على من اشتغل بها لحظة ما * فعلم ان جميع العلوم التي تحجب أكثر الناس هي عند أهل الله لا حجاب فيها اذا علم ذلك فان قال انما اشتغل بالعلم خوفا أن ينسى قلنا فاذا أراد الله قبض العلم وأهله فمن يقدر على حفظه وقد شاهدت نسيانك للعلم وكلما حفظت شيأ أنسيته فهل هذا الا ان الله تعالى أراد ذهابه فصار الشخص يتكلم بالعلم في لسانه لا يتعداه الى قلبه وكل عام ترذلون فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهل يقال للمسكين في القبر والزبانية على جثتهم دعوه لانه كان يحفظ أبواب المعاملات أو يحفظ أبواب الفقه والنحو والأصول على ظهر قلبه أو يقرأ بالمد والامالة والتفخيم والترقيق كلا والله لا يترك ولا يكرم لأجل شيء من ذلك انما يكرم بالتقوى والعمل الصالح ومعرفة الله عز وجل وكف الاذى عن جميع الأنام ومن شك في ذلك فسيراه يقينا في الآخرة وأي فائدة فيمن يقرأ كل يوم ختمة ولا يلقي لما يقرأه بالا ولا يتعظ بشيء من مواعظه وزواجره واذا جاء اليه شيء من الدنيا وثب اليه وخاصم عليه ومزق عرض من نازعه في أخذه * وقد سئل شيخنا رضي الله عنه عن قول رب العزة لأحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم لما سأله فقال يا رب بم يتقرب اليك المتقربون فقال بكلامي فقال يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم فاجاب عن قوله بفهم هذا الفهم خاص بالعلماء وقوله بغير فهم خاص بالمحققين من العارفين لان العارفين ليس لهم آلة في فهم كلامه الا بالكشف الصحيح والذوق لا الفهم والفكر الخاصين بعلماء الظاهر وأطال في ذلك كما ذكرنا في الأسئلة * ثم قال والعجب ممن عدم الفهم الذي هو العلم كيف يتقرب الى الحق بعدمه الذي هو الجهل فتأمل هذا فانه من النفائس ولسنا نأمر بترك الاشتغال بالعلوم وترك تلاوة القرآن بل نقول ان العبد لا ينبغي له ان يشتغل الا بما يتعدى نفعه ولا يرجع عليه وبال من أجله في الدنيا والآخرة فافهم * واعلم انه ما ربي أحد من الائمة قط وقال غفر لي بعلمي لان غالب العلوم تدخلها النفس * وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه كل علم سبق اليك فيه الخواطر ومالت اليه النفس والتذت به الطبيعة ولم يكن عن الله ولا عن رسوله فارم به وبالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين من بعده وبالهداة الائمة من رحمته بخلقه غفر لهم ما أخطؤا في تأويله اذا بذلوا الوسع ولم يخرجوا عن لسان الشارع فان لم يبذلوا الوسع فتفسيرهم ليس عن فهم ولا عن علم فافهم * فعلم ان مافهمه المجتهدون رضي الله عنهم من الكتاب والسنة انما كان لانفسهم لا للخلق أي لان كل مجتهد يوجب تقليد نفسه على كل فرد من أفراد العالم بل من الأئمة المجتهدين من نهى عن تقليد نفسه وأمر الناس بتحصيل رتبة النظر لانفسهم لان كلا من المجتهدين فهم ماقبله استعداده وكل من فهم أمر الزمه العمل بما فهم لا يكلف الله نفسا الا وسعها فافهم ذلك * ومن شأنه وأدبه ان يؤول الاحاديث التي ظاهرها التعارض على وجوه شتى صحيحة ولا يرمي من الشريعة شيأ ما أمكن وهكذا فعل الامام الشافعي رضي الله عنه فليحذر من كونه لا يأخذ من الشريعة الا ما وافق نظره وما عدا ذلك يرمي به أو يجعله خطأ باللعامة التي لا تفقهه وليحذر من نفرة نفسه منه من قول غير امامه وليؤوله على أحسن الوجوه ويرى الكل على الحق لان كلا قال باجتهاده والحق واسع ونبينا صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكل مجتهد أخذ بما ثبت عنده من الأمر والنهي ومن هنا تفرقت مذاهب المجتهدين ولما علم صلى الله عليه وسلم من نفسه الترقي في مقامات القرب رخص للمجتهدين بذل الوسع في استنباط الاحكام وصوبهم تارة لكمال استعدادهم وخطاهم أخرى لنقص استعدادهم من حيثية أخرى وأثبت لهم الاجر في الحالتين فما أخطأ من اخطأ الا لضعف الاستعداد فلو كمل استعداده ما أخطأ مجتهد * فعلم أنه لا ينبغي المبادرة الى القول بالنسخ عند التعارض بالرأي من غير تصريح بنسخه من الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه ربما يكون دليلا لمذاهب أحد من الأئمة المجتهدين فيقع العبد في قلة الأدب مع الأئمة ولأنه صلى الله عليه وسلم كانت أجوبته بحسب السائلين وكلامه بحسب المجالسين فليس كلامه لابي بكر رضي الله عنه ككلامه لاجلاف العرب فلا يصح طرد كل قول في حق كل افراد الأمة وهذا أمر معقول لقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ومن

هـذا القبيل قوله للجارية أين الله فقالت في السماء فقال مؤمنة برب الكعبة ولو سأل أكابر الصحابة لم يسألهم بالاينية لعلمهم باستحالتها على الله تعالى واعلم ان كلامه صلى الله عليه وسلم بالالفاظ التي فيها حصر لجناب الحق مأمور به لانه هو المبين قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلو سأل أحد غيره بالأينية لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فانه تعالى لا اينية له فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا ان ليس في قوة هذا المخاطب ان يعقل موجودا الا ما تصوره في نفسه فلو خاطبه بغير ما تواطأ عليه وتصوره في نفسه لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فمن حكمته أن سأل بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله تعالى ولم يقل عالمة فافهم * وكذلك لما دخل صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فرآه يصلي وهو يقرأ بخفض صوت فقال لم لا ترفع صوتك فقال يا رسول الله قد أسمعت ربي فقال له ارفع قليلا ودخل على عمر رضي الله عنه فرآه يجهر فقال لم لا تخفض صوتك فقال يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا فعلمهما الأدب باخراجهما عن مرادهما الى مراده صلى الله عليه وسلم فمثل هذه الأمور في السنة كثير لمن تصفحها * وبالجملة فمن لم يذق من مذاق القوم شيأ لا يفهم أسرار الشريعة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والله أعلم * ومن شأنه ان يبدأ بالأهم من العلوم التي يحتاج الى معرفتها ويسأل عنها ويقدر أن يعمل بها الآن الزمان لا يحتمل الاشتغال بغير الأهم وقد أخبرني شيخنا رضي الله عنه من طريق الكشف ان العلم ارتفع مكثه في القلوب من أول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فصارت القلوب تمجه ولا يجد له محلا يقيم فيه لانها مشغولة بالبلاء النازل عليها ومن تكلم الآن في العلم انما يتكلم في علوم اكتسبها قبل السنة المذكورة * اذا علمت ذلك فاي فائدة لمن هو طول عمره في زاوية أو مدرسة يطالع دقائق البيوع والرهون والاقارير والدعاوى والنحو واللغة يرجع عليك وسيرى الله عملكم ورسوله واعلم انه لا ينبغي القراءة بالرواية والانغام الا لكمل الأولياء من ورثة الانبياء فانهم يشهدون أمر الله لهم بالجهر في مواضعه وتحسين الصوت في تلاوة القرآن فلا يخرجهم ذلك عن حضرته ومناجاته التي هي المقصود بالتلاوة وأما غير الأولياء فانهم يحجبون بالنغمة وتحسين الصوت عن حضرة الله تعالى لضعفهم فيفوتهم المقصود لا سيما أئمة المساجد وخوفهم من الغلط واللحن والوقوف على غير وقف وغير ذلك فلا يكادون يحضرون مع الله تعالى والصلاة محل المناجاة لا تقبل الالتفات لغير الحق والعمدة في الصلاة اقامتها بحقوقها وآدابها لا فعل صورة الاركان فقط واعلم انه كان فرضا علينا الاقبال على الله على الدوام لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فخفف الله تعالى علينا وفرض الاقبال عليه وعلى مناجاته في الصلاة فقط فاذا غفلنا عنه في نفس الصلاة ولم نحضر فيها فلسنا مصلين الا بالاسم والقلب دائما لا يتوجه الا الى الاشرف عنده فاي شئ أشرف من الله حتى يشتغل عن الله به ولذلك قال أهل الحق رضي الله عنهم ان كل بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيئته بل اذا استحكمت منه تحول بينه وبين الصلاة ولما ذقت ذلك كنت لا أقدر أنطق بالقرآن لا في صلاة ولا غيرها وكنت أستغفر الله تعالى اذا سبق به لساني في غير الصلاة من غير قصد لغفلتي لأمور يشهدها صاحب هذا الحال تقصر عنها العبارة ثم سحب الله تعالى ذلك عني رحمة بي فله الحمد وقال الامام الغزالي الغافل في الصلاة تارك لها فكما ان من ترك الأفعال الظاهرة يقتل بسيف الشريعة كذلك من ترك الأفعال الباطنة يقتله الجبار يوم القيامة لحديث اعبد الله كأنك تراه فالعبادة من شهود صريح أو تخيل شهود صحيح لا تصح هكذا مذهب أهل الحق فافهم ذلك والله يتولى هداك * ومن شأنه ان لا يعاهد الله تعالى حين يتعلم العلم على الجزم بالعمل به بل لا ينبغي له ذلك الا مع شهود معونة الله له فلا يعاهد الله تعالى على العمل به لأنه عاجز عن الوفاء بما التزم لان الحق لا تقييد عليه فيما يقدره على عبده وليس هو تعالى مع مراد عبده في كل أمر ومع فكيف يجزم أن يفعل شيأ ليس في قدرته أن يمتنع منه فالمراد من العبد أن يتعلم العلم امتثالا للامر وما قسم الله له تعالى من العمل لا بد منه والحق سبحانه وتعالى أعلم بصالح عبده منه فمن علم ذلك أفنى مراده في مراد الحق لأن مدار الخلق وسعادتهم على عفو الله لا على العلم والعمل فكل من سامحه الله فهو الناجي وكل من أقام عليه المناقشة هلك ولو كان معه أعمال الثقلين ومن تأمل قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون لم يجد

له عملا ينجو به ولو كان كثير العبادة كما يشاهد ذلك أهل الله تعالى والا فالعبد قد يعاقب بعدم امتثال الأمر و بعدم
اجتناب النهي لموضع اختياره وتدبيره وتحكمه على الله تعالى ولانه جاهل بما يقدره الله عليه في المستقبل وقد
يكون ارتكاب النهي في حقه سببا لقربه من الله تعالى لما فيه من الذل وتنكيس الرأس كما شاهدنا ذلك في حق
كثير من الناس وقد يكون فعله لصورة الأمر يبعده بعدا من الله تعالى لما فيه من الاعجاب والكبر على من لم
يفعل كفعله و ربما تكبر به أيضا على من فعل كفعله لظنه بغيره الرياء و بنفسه الاخلاص كما هو واقع كثيرا
واعلم ان مراد الحق سبحانه وتعالى من الخلق رجوعهم اليه بأحد وجهين اما بالطاعات واما بالمعاصي فاذا أعجب
الطائع بعبادته طرده ومقته فحينئذ يقدر عليه المعاصي فيبكي ويخشع و يذل لله تعالى فيقربه و يجتبيه ومن لم
يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان و يقولون في المثل من لا يجيء بشراب الليمون جاء
بحطبه فعلم ان الطاعة اذا لم تكن خالصة فانها تورث صاحبها الجفاء وقساوة القلب وقد قال سيدي الشيخ تاج
الدين بن عطاء الله رضي الله عنه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا اذا
علمت ذلك فمن الأدب مع الله تعالى ترك المعاهدة للحق على فعل شيء أو تركه و يسلم العبد لله تعالى أمره وكل شيء
أبرزه على يديه من الأفعال يعطيه حقه فيتوب مما برز مخالفا للامر و يحمد على ما برز موافقا له وان كان ولا بد
يجزم ان لا يعود فليراع الأدب وهو شهود مشيئة الله تعالى في عوده لان التحويل والتبديل واقع ليلا ونهارا فيقدم
المشيئة كما ان المؤمن يقول انا مؤمن ان شاء الله تبركا خوفا من التحويل لا شكا في ايمانه فافهم * واعلم انه لا يلزم
من علم العبد بالأمر امتثاله ولا من علمه بالنهي اجتنابه كما هو مشاهد لانه تعالى اذا أراد من العبد ايقاع الفعل
على صفة مخالفة للامر لا يكون غير ذلك فيصير العمل بالعلم عنه بمعزل وكذلك الحكم في جانب النهي فالادب مع
الله تعالى خير كثير فافهم ذلك ولا تجادل فيه فان حالك يكذبك فانك تعرف فضل الوتر وعدد ركعاته والضحى
ولا تفعل شيأ من ذلك وتبحث في فضل صلاة الكسوف ولا تفعل وتبحث في باب الصدقات ولا تتصدق وتبحث في
آداب الصوم ولا تفعل وكذلك آداب الاعتكاف وصيغ البيع وتقرر لتلامذتك ان كل ما أخذ بالمعاطاة حرام
وغير ذلك مما لا يحصى فعلم انه لا ينبغي لاحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب الى الحق سبحانه وتعالى أو رسله
كمن يعترض على الذاكرين الله كثيرا أو المسبحين أو التالين لكلام الله تعالى أو المصلين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو لاصحاب الاوراد لأن الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق والطريق الذي يظن المعترض انها
لا توصل الى الله تعالى بحسب ما عنده قد توصل اليه ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وكل ميسر لما خلق له وانما
ذكرت ذلك ونبهتك عليه لان بعض طلبة العلم كثيرا الاعتراض على الذاكرين ويقولون الاشتغال بالعلم
أفضل ولا يتأملون المراد من العلم هذا أو يخرجوا على من بات ذاكرا ليلة القدر الى الصباح ولم يحرك أحد
منهم ولا قال لا اله الا الله ولا قال اللهم اغفر لي وأي غرور فوق هذا ولا يسود الخلق عند الله الا بالعمل الخالص
وكيف يقاس من يعلم ان في الناحية الفلانية بحرا عين يغترف منه ليلا ونهارا و يسقي الناس وقد نبهت شخصا
للذكر ليلة القدر وكانت ليلة الجمعة فرفع رأسه واضطجع ونام وقال نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل ويا ليته
سكت فكل علم لا يزداد العبد به هدى لم يزدد به من الله الا بعدا وكل علم لا يزهدك في الدنيا و يرغبك في الآخرة
لا يزداد بالتبحر فيه الا قساوة ودعوى وتكبرا وازدراء للخلق حتى تظن ان الخلق كلهم هالكون الا أنت
واذا لم تكن تعمل بالعمل فانظر لنفسك بعين الاحتقار والتقصير فان الامر باق ان شاء الله تعالى فافهم ذلك
* وقد استفتى شخص بحضرتي عن جماعة يتلون القرآن جهرا الى الصباح هل يحرم ذلك فقال نعم يحرم
بنص القرآن لان الله تعالى جعل الليل سكنا وهؤلاء لم يجعلوه سكنا اه وما للسائل الا للمجيب واستفتى شخص
آخر عن جماعة يذكرون الله تعالى و يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فقال هذا شأن البطالين
الذين لا مروءة لهم ولا لاحمة وهو من البدع وذكر الله تعالى و رسوله يكفي العبد في العمر مرة فانظر يا أخي هذا
الجواب وما فيه من الجفاء والظلمة وقلة الأدب مع الله و رسوله بجعله ذكر الله تعالى بدعة وهو لم يعرف البدعة
فان كل ما ابتدع على طريق القربة الى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الظاهرة قال الله تعالى ورهبانية

ابتدعوها

ابتدعوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فليسن فاجاز لامته استنان ما هو حسن وجعل
فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به وأخبر ان العابد لله بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين انه يحشر
أمة وحده بغير امام يتبعه فجعله خيرا وألحقه بالاخيار كما قال في ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى اليه
وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق كان على شرع من ربه وان
لم يعلم ذلك وسماه النبي صلى الله عليه وسلم خيرا في حديث حكيم بن حزام وانه كان يتبرر في الجاهلية بامور من
عتق وصدقة وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عن ذلك أسلمت
على ما أسلفت من خير فسماه خيرا وجزاه الله به فان لم تفهم الشريعة هكذا فما فهمت * اذا علمت هذا
فالمفتي بغير دليل شرعي بأن الاجتماع على ذكر الله تعالى على الهيئة المشهورة بدعة جاهل غبي مطرود ملعون
وحاله يدل عليه لانه لو كان من أهل القرب ما وسعه ان يتكلم بما قال فافهم وكيف يقدر العبد ان يصبر عن ذكر
الله تعالى وهو حياة القلب والروح كالماء للسمك * وفي البخاري وغيره مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر
ربه مثل الحي والميت وقد قال الله تعالى أنا جليس من ذكرني وقال أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
فكيف يكون جليس الله تعالى من لا همة له ولا مروءة وقد وصل الى أعلى الهمم لان أعلى همم العارفين ان يتوالى
عندهم الحضور والانس بالله تعالى ومراقبته والحياء منه وهل يعلم أحد ما يمنح الجليس جليسه من العلوم
والمعارف والآداب والاخلاق فالزم الأدب مع الذاكرين وغيرهم فانه في الحقيقة أدب مع الله تعالى فافهم
ولا تكن من الغافلين فان وبال ذلك يرجع عليك في الدنيا والآخرة بالمقت والطرد كما هو مشاهد في أهل
الانكار على الاولياء * وقد قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي رحمه الله ما رأينا أحدا ابتلي بالانكار الا وكانت
خاتمته خاتمة سوء على ان الاولياء الذين ينكرون عليهم ليسوا بأصحاب مذاهب في الشريعة كالائمة المجتهدين
اعمالهم ملاحظ يفهمها عنهم من يأخذ عنهم فرضي الله عنهم وعن المعتقدين فيهم أجمعين * ومن شأنه اذا كشف
الله تعالى عن بصيرته وفهم اسرار الشريعة لا يتقيد عن نقل المقلد في الاحكام من غير نظر في الادلة وفي كلام
الامام في فتواه لجميع الخلق فانه ليس على حد سواء بل يفتي كل سائل على حسب حاله فان أبوا الا ان يجيبهم
بالمنقول مع علمه بان الأمر أوسع من ذلك فليفتهم به لان الحق اذا أراد اثباته فمن الأدب عدم طلب دفعه وقد
اتضحت فساد طرد القاعدة في كثير من كلام الاصحاب من مذهب الشافعي اما كلام الامام رضي الله عنه
فلم أظفر بفساد طرد قاعدة من قواعده ومن مسائل الاصحاب قولهم بالافطار بوصول عين من جائفة ومأمومة
ونحوهما وهذا وان كان سد الباب فليس فيه انتهاك حرمة للصوم لا يسمى أكلا لا في العرف ولا في اللغة ولا في
الشرع فلهذا قلنا ان من شأنه أن يكون يقظا متفطنا لما يستفتي فيه من الاحكام وينظر في أسرار الشريعة وما
جاءت به ولاجله وان علم من المستفتي مثلا عن حول الزكاة وقطعه بالخروج عن ملكه هروبا من الوجوب
والاخراج لا يفتيه بل يسكت ويتثبت في أمره لان المبادرة الى فتواه بالمنقول يسد باب الزكاة ويفتح باب المنع
للفقراء والحق تعالى لا تدخل عليه الحيل ومخادعة الله تعالى تورث المقت والغضب والطرد وأين الآيات
والأحاديث الواردة من الامر بدفعها لمستحقيها وأين قوله صلى الله عليه وسلم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على
فقرائهم وغير ذلك من الاحاديث وكذلك ينبغي له أن يتوقف في حيل البراءة من الصداق وغيره لان غالب ذلك
لا يقع الا بعد مضاجرة وأذى فيؤذي الرجل زوجته بغير حق ويتزوج عليها ويلتوي ويفعل جميع ما يخالف
غرضها والبشر لا يحمل ذلك دائما لا سيما النساء لما جبلن عليه من الغيرة والنقص فتطلب المرأة
الافتداء بالبراءة من الصداق وربما تعطيه زيادة عليه لانها كالاسير كما شاهدنا ذلك كثيرا وقد قال الله تعالى
فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فأفاد أن طيبة النفس في هذا فافهم ذلك ومن شأنه أن يتوقى
الفتوى بالتحكيم على الله تعالى في الامور المجهولة التي لا تعلم الا بالكشف الصحيح من كمل الاولياء لقوة علمهم
لان الحق لا يخذلهم فيما يلتزمونه ويتضمنونه لهم عند الله تعالى كمن ضمن لشخص قصرا ان بني سبيلا فنزلت
اليه ورقة من السماء فيها قد وفينا بما ضمنت ووقع ذلك لآخر وفيها ولا تعد اذا علمت ذلك فالادب ان لا تجيب

في أمر الثواب والعقاب بشيء لأن ذلك جهل وتحجير على الحق فقد لا يثبت على الطاعة التي أفتى فيها بحصول الثواب وقد لا يعاقب على المعصية التي أفتى فيها بوقوع العقاب والمراد من العلماء أن يبينوا الأوامر والنواهي فقط وأمر الثواب والعقاب إلى الله تعالى لا إليهم فإن وردت السنة بحصول الثواب والعقاب في فعل بخصوصه فلا بأس بذكره لمن يعمل طلبا للثواب لأنه بحكم التبعية ولا تحكم فيه على الله تعالى لأنه هو الذي أخبر به عن نفسه واعلم أن الفطن في دينه لا يخفى عليه مثل هذه الأمور وقد نبهتك بهذا على ما سواه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

﴿الباب الثالث في آداب الفقراء والمشايخ من السلف الصالحين﴾

وقد أحببت أن أشبع الكلام في هذا الباب لكثرة المدعين في هذا الزمان الفاتح لكل شر والخاتم لكل خير فصار كل من أذن له شيخه بتلقين الذكر أو لم يأذن له ومات وسمع في خلوته هاتفا بالإذن له من ملك أو جن يظن أنه ولي الله تعالى كما سمعت ذلك من بعضهم وعن كثرة من يقلد له من العوام الذين لم يفهموا حقيقة الأمر فضلوا وأضلوا لأن درجة الولاية مرتبة عظيمة حتى أن من جملتها أن يعرف ولايته أهل السموات وأهل الأرض والحيوانات والنبات وتحبه الخلق أجمعون إلا من شاء الله من الثقلين بمحبة الله له قال بعض العارفين رضي الله عنهم مشيت أنا وبعض إخواني في جبل قاف فمررنا على الحية المحيطة بالبحر المحيط فسلمنا عليها فردت علينا السلام ٢ ثم قالت ما حال أبي مدين شعيب مع أهلها وكان ببجاية من أرض المغرب إذ ذاك فقلنا لها تركناه في عافية ومن أعلمك به فتعجبت وقالت وهل على وجه الأرض أحد يجهله إنه والله ممن اتخذه الله وليا وأنزل محبته في قلوب جميع المخلوقات من ناطق وصامت فانظر مرتبة الولي وأما فلوس ثلث حجارته التي يركبها عن ولايته لا تعرفها فكيف بسائر الوحوش والسمك والنمل وغيرها فاعلم ذلك وقد كنا ألفنا كتابا ذكرنا فيه جملة المنازل التي تنزلها الأولياء وتخلع عليهم علومها وعدتها مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وذكرنا فيها من المنازل مائة منزل وأربعة عشر منزلا عدد سور القرآن العزيز وذكرنا في كل منزل بعض علومه خوفا أن ينكر وجود المنازل وعلومها إذ لم يخطر ببال أحد من غالب فقراء هذا الزمان قال الله تبارك وتعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وقال وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم وأرجو من الله تعالى أن كل من طالع فيه من فقراء هذا الزمان يعلم يقينا أنه لم يشم طريق الولاية فضلا عن حصولها له لأنه يجد نفسه عاريا عن معرفة أسماء علوم الأولياء فضلا عن أن يحيط بحقيقتها إذ كل علم منها لا يدرك له قرار ولا يسطر في الكتب ليطالع فيتكلم به ولذلك قال سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم بأنه زنديق وذلك لأن أحوالهم من وراء النقل والعقل وفوق كل ذي علم عليم ومن ادعى من القاصرين معرفة هذه العلوم كذبه العارفون وافتضح بالامتحان ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ورحم الله من عرف قدره واستراح من الدعاوى الكاذبة الموجبة لسخط الله ومقته وأراح تلامذته بعد موته من التعب في بناء مدفن وتابوت وستر وغير ذلك من آلات المشيخة إذا علمت ذلك فمن شأن الفقير أن لا يدخل في طريق القوم إلا بعد تضلعه من علم الشريعة والحديث والانخفاف عليه الزندقة والابتداع لأنه ينفتح للسالك أمور بحيث لا ينضبط على شريعة منها لا فاعل إلا الله ولا ملك إلا الله ولا موجود إلا الله وهذا وإن كان حقا لكن على هذا فالأحكام المأمور بها تتوجه على من يقول هو الآمر نفسه بنفسه وغير ذلك فإن كان معه الميزان الشرعي وزن هذه الأمور وعلم أن لله الحجة البالغة إذا علمت ذلك علمت أنها طريق كثيرة المهالك والحفر والأوحال والمهاوي والحيات وغيرها لأنها طريق مجهولة لا يعرف فيها السالك ما يستقبله من المهالك ولا أين ينتهي فلا بد من دليل له يمشي فيها به وهو نور الشرع مع نور البصيرة قال الله تعالى نور على نور فلو كان نورا واحدا لما ظهر له ضوء فافهم * ومن شأنه أن يقرأ شيئا من عقائد السنة قبل دخوله في طريق الفقراء ليصح اعتقاده مما يتوهمه غالب الخلق من الجسمية ونحوها أو أنه تعالى فوق العرش فمن يعتقد ذلك على معنى الجلوس فهو عابد وثن فتعالى الله عن ذلك وتأمل ما أقوله ينتفي عنك وهو أن تعلم أن كلامه تعالى

قديم وقد قال قبل خلق العرش الرحمن على العرش استوى فاذا كان كذلك فما معنى الاستواء وما كان عليه قبل خلق العرش فما تقوله قبل خلقه فله بعد خلقه وكذلك خبر ينزل ربنا وجاء ربك ونحو ذلك تأول هذا الوجه فمن أمكنه رفع الأكوان كلها هان عليه الأمر لأنه كان قبلها وكان ولا سماء ولا عالم فهل كان يوصف بالنزول الى من ومن أين الى أين والعمدة فى هذا الباب نفى الجسمية كما هو الامر عليه ومن شأنه ان لا يطالع فى كلام القوم مادام مقلدا لهم الا كلام الكمل من الأولياء الذين لا ينقض ظاهره باطنه ولا باطنه ظاهره أدلة السنة واما كلام الاولياء الذين لم يبلغوا مرتبة الكمال من أرباب الأحوال فلا ينبغى النظر فيه لان كل أحد منهم تكلم عن ذوقه وعلم الفقير بأن فلانا ذاق كذا وكذا لا يفيد عنده شيأ بل ربما أورث عنده شهوة الى ذلك الحال فيحصل له قلة أدب مع الله تعالى بخلاف كلام الكمل فانه كله أدب مع الله تعالى ومع خلقه لوسعه فافهم ذلك* ومن شأنه ان يطالب نفسه بحقوق الخلق ولا يطالب الخلق بحقوق نفسه فلا يتكدر ممن زهد من أصحابه فى مجالسته والقرب منه والتردد اليه لانه لا يخلو ان كان ذلك خيرا لهم فهم الذين منعوا أنفسهم من الخير وان كان ذلك شرا لهم فقد استراحوا منه ومن مجالسته وأما تكدر الا كابر ممن ترك الخير فانما ذلك تكدر له حيث أصيب بما أصيب من ترك الخير لا تكدرا منه* ومن شأنه الذل وعدم التميز عن غيره بخلق غريب يعرف به الا أن يكون مغلوبا ويرى انه أحقر خلق الله المؤمنين على الاطلاق ولا يمكن أحدا من تقبيل يده ولا يحب ذلك من أحد ولا يمكن أحدا من الاطراق بين يديه لان هذا صفة الملوك لا صفة العبيد فان كان ولا بد من الترخص فى ذلك فليمكن من أراد تقبيل يده أو غيرها مع رؤية نفسه عليه فقد يقع كثير البعض الفقراء ان يرى نفسه انه أحقر الخلق لا يرى غير ذلك ويرى أن تقبيل يده من تلامذته غاية التواضع منهم ولو علم فى الخلق أحقر منه أمرهم بالتواضع معهم ليهديهم به فهذا لا يضره التقبيل مادام يرى نفسه كذلك والصادق تظهر عليه الامارات ومنها عدم انضباطه على حالة واحدة فيمنع تارة ويبيح أخرى بحسب خمود النفس وهيجانها واعلم انه يجب عليه أن يمنع من ذلك جزما حيث أدى الى نظام وقيام ناموس عليهم ولأى شئ لا يقبل هو يدهم كما يفعلون معه لولا أنه يرى نفسه عليهم وهذا لا يخفى على أهل البصائر واذا ألفت النفس التعظيم بهذا النظام ومجئ الناس اليها وقولهم نحن رائحون الى عند سيدى الشيخ ازدادت عتوا واستكبارا وشق عليها ترك ذلك وتجد استيحاشا لما يترك ون المجئ اليها وتقبيل يدها ويغيبون عن حضرتها ويفتحون أعينهم فى وجهها ويقصرون فى خدمتها والاعتناء بها فتدسس على صاحبها المخدوع وتقول له احك لهم حكايات فى باب الادب يجبر الله لك هذه المصيبة فلعلهم يتأدبون معك وهو يظهر لتلامذته أنه لا يعبأ باقبال الخلق ولا بادبارهم وقلبه كاد أن يتفطر لاجل ذلك ولا يقدر يصرح لهم بالأمر بأنهم يتأدبون معه خوفا أن يزدروه اذا طلب ذلك منهم فلذلك تجده يحكى لهم حكايات فى الادب وقصده منها أن يتعلموا الأدب معه فقط ولا عليه أن يقلوا أدبهم مع أحد من أقرانه بل ربما فرح فى الباطن لذلك لتنقيص أقرانه بذلك حتى ينفرد هو بالتعظيم بين الخلق فيقول كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلسوا حوله كانما على رؤسهم الطير من الأدب والحياء معه صلى الله عليه وسلم وكذلك أصحاب الشيخ الفلانى والفلانى وأين هذا ممن هو معصوم أو محفوظ وأين من هو عبد لنفسه غارق فى حظوظها خارج عن سياج العبودية بأفعاله ممن هو عبد خالص من رق الاغيار فسد هذا الباب أولى من الدخول فى ورطته لغلبة الهلاك فان ادعى أنه انما يمكنهم من تقبيل يده ليتعلموا الادب وذل النفس فليراع الصدق فى ذلك ولانه يمكن انه يجربهم فى غيره من اخوانهم وأقرانهم ممن هو أحقر فى أعينهم منه بل الغالب ممن يقبل يد الشيخ أنه لا يقبلها الا للتعظيم للشيخ ويرى الشرف والرفعة بذلك فكيف يكون فى ذلك ذل وتواضع للتلميذ فافهم ذلك واتهم نفسك فى جميع أفعالها وأحوالها العلك ناج أن ربك لبالمرصاد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين* ومن شأنه ان ينزل الناس منازلهم ولا يتبع التقاليد فى ذلك بل يكون يقظا فاعظم الناس حرمة وأحقهم بالتعظيم أكثرهم اتباعا للنبى صلى الله عليه وسلم فلا عبرة بتعظيم الخلق للفقير واقبالهم عليه وانتشار صيته بالصلاح والولاية فمن مشايخنا من لا يؤبه له ولا يؤهل لان يجلس معه لرثاثة هيئته ولا يصلح غالب المشايخ المشهورين ان يكون تلميذا له لأنهم

لا يفهمون كلامه فى الطريق لدقته ومن شرط التلميذ أن يفهم كلام الشيخ ومن لم يفهمه لا يصلح أن يكون له تلميذا فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يتحمل الاذى من جميع الانام و يشهد ذلك من رحمة الله به ونعمة عليه حتى لا يركن الى سواه لاسيما فى ابتداء أمر الفقير * وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه جرت عادة الحق سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأصفيائه ان يسلط عليهم الأذى فى مبتدا أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا كما وقع للسيد نوح عليه الصلاة والسلام وكذلك السيد موسى والسيد يوسف عليهما الصلاة والسلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومهم فالسيد نوح صبر حتى أغرق الله قومه وكذلك السيد موسى صبر حتى أغرق الله فرعون وجنوده وكذلك السيد يوسف صبر حتى صار عزيز مصر واحتاج اليه اخوته وغيرهم وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما أخرجه قومه من مكة رده الله اليها قاهرا بالسيف وكذلك السلف رضى الله عنهم أجمعين لكن من يدوم عليه الاذى طول عمره و يرى بالزندقة والكفر وغيرهما من الامور الباطنة لان المعاصى الظاهرة تتنزه الفقراء عنها فى الغالب ولو رماهم شخص بها لا يوافق على ذلك فلا يحصل لهم الاذى الكامل بخلاف الأمور الباطنة فانها تدوم نسبتها اليهم فى الغالب استصحابا لما قيل فيحصل الأذى الكامل المراد ومنهم من ينسب اليه بعض العقائد الزائغة فى بعض عمره ثم يتغير الحال تأديبا له ولنفسه لان لا تميل الى الخلق لكثرة الاعتقاد منهم غالبا فيفسد عليه حاله لانه يصير عنده ركون اليهم فيشتغل قلبه بمحبتهم والحق غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لغيره لانه موضع نظره ولذلك كان ضرر الصديق وخلطته أشد من ضرر العدو لان العدو يصيبك فى ظاهرك والصديق يصيبك فى قلبك والعدو تصل به الى طريق القرب خير من صديق يحجبك عنها فافهم واحذر أن تفهم هذا الكلام بخلاف المراد فيتخالل باطنك احتمال الاذى لتكون الدولة لك آخرا فى التصرف فى الخلق بالحال والقال لان العبد المؤمن ليس له دولة فى الدنيا انما هى دار عمل وتحمل مشاق وأكدار اذا علمت ذلك فتحمل الاذى اقتداء بالانبياء والمرسلين والسلف الصالحين فقط فمن كان كذلك نصره الله تعالى من غير عشيرة ولا أهل انما يقدره على احتمال الاذى فلا يبالى به أو بغير ذلك وقد كان أهل بلد أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه يرمونه بالزندقة و يقولون هذا يظهر الاسلام و يخفى الكفر وكان رضى الله عنه من شأنه ان لا يقيم الا فى موضع الذم وكل موضع لحقوا به وعرفوا شأنه ومدحوه تحول عنه واعلم ان كثرة الانكار عليك والاعداء لك مما يثبت لك اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى وكذلك جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون فعلم ان عداوة جميع المؤمنين للعبد من شقاوته لان قلوب المؤمنين لا تمقت الا بحق لانهم لا يجتمعون على ضلالة وأعظم نصابهم أربع رجال واعلم ان الدنيا ليست بموطن ظهور الجزاء للتكاليف فكل انسان فيها مشغول بنفسه مطلوب بأداء ما كلف به من العمل فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم لانهم فى محل الحجاب وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا لم يظهر لنا منها الا ما أخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ولولا ذلك جهلنا قدره وفى الآخرة يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا فى الآخرة وكذلك كمل الرجال لانها دار ظهور النتايج وأما الدنيا فانما هى دار أعمال فمن طلب ظهور النتايج فيها فقد طلب غير الموضوع وباع آخرته بعرض دنياه فافهم وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما علم الله سبحانه وتعالى انه لا بد أن يتكلم فى أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد حتى اذا ضاق الولى ذرعا من كلام قيل فيه ناديته هو اتف الحق هذا وصفك لولا لطفى بك فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك فان جميع المنكرين رحمة من الله عليك والا لو عكس الامر وجعلك منكرا عليه كالكافر والعاصى ماذا كنت تفعل فاحمد الله سبحانه وتعالى واسلك سبيل الاصفياء وكثرة المدح من جميع الخلق لا تغنى عنك من الله شيأ وأنت عنده بخلاف ذلك وكثرة الذم والاذى من الخلق لا تضرك شيأ وأنت عنده بخلاف ذلك بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت فهل ينزلون معك فى القبر يتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك فى الآخرة واحذر حين مدح الخلق لك ان تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظمونك فان ذلك يزيدك تعظيما عندهم بل اسكت ايهاما لهم بانك تحب

المدح

المدح بما ليس فيك هذا هو الاصلح لك دائما فان قال لك الشيطان هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم فقل له انما أنظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى فان أقام في باطنهم تعظيما لي لا يمكنهم ان يحقروني واشهد ذلك فضلا منه وان أقام في باطنهم تحقيرا لي لا يمكنهم التعظيم لي ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم وبالجملة فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير لأنه لابد في الوجود من منكر عليه وطلبه من جميع الخلق أن يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه فلا بد له من ذام ومادح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضي الله عنهم وقد كان شخص يذم الامام عليا رضي الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فأثنى عليه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم على خلاف عادته فقال السيد رضي الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فافهم فهمنا الله واياك فان من رضي بعلم الله فيه لا يتغير ولو توجه اليه الثقلان بالذم والتنقيص ولا يغيره على الله تعالى شئ بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده وقد سمعت هاتفا على لسان الحق تعالى من شهد الأمور كلها مني لم يتغير من وجدان ولا فقد ومن خرج من حضرتي سلطت عليه أعدائي فلا يلومن الا نفسه والسلام فافهم فهمنا الله واياك ومن شأنه انه اذا أمر بشئ من الأدب أو نهي عنه ولم يمتثل المأمور أو المنهي ذلك لا يتكدر عليه قال الله تعالى ما على الرسول الا البلاغ وقال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ثم تاب عليهم ليتوبوا فما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد لا يمكنه ان يتوب فاذا ترك الحق تعالى خلق المعصية للعبد تاب العبد ضرورة ولذلك كانت رحمة الله تعالى يوم القيامة اذا استوفى أهل الحقوق حقوقهم لعلمه تعالى بانه هو الذي أنطق ألسنتهم بما قالوه وخلق في نفوسهم ما تخيلوه فسبحانه من حكم عدل لطيف خبير يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل فافهم ذلك فأمر الامتثال راجع الى الله تعالى فان كان قسم له الامتثال فلا بد منه والا فليس في قدرة العبد الآمر بصيره ممتثلا ولم يرد الله له ذلك فاذا علمت ذلك فأمر برفق ورحمة وعدم احتقار وازدراء لأن الخلق محل لجريان الأقدار وما وقع فيه المأمور والمنهي عنه جائز الوقوع في حقك فاذا كان قلبك راحما له لا يجيبك الآخر الا بالاذعان وشكر الصنيع لان قلبه أدرك رحمة قلبك له بخلاف ما اذا أمرت بنفس واحتقار وعدم رحمة لا يجيبك منه الا النفس فتقوم النفسان فلا يحصل الا الاباء وعدم الانقياد وهذا مشاهد كثير فافهم ذلك ومن شأنه ان لا يقول في شئ فعل لم فعل ولا في شئ ترك لم ترك لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خدمته له ولا يخفى ان ذلك من الأدب مع الله تعالى لا مع الفاعل لان الفعل للشئ والترك له بقضاء الله تعالى وارادته هذا أدب أهل الله تعالى لعلمهم بحكمة الله سبحانه في كل واقع في الكون واما غيرهم فلا ينتهون عن ذلك الا اذا ذكروا به وفرق بين من ترك الاعتراض ابتداء وبين من لا يتركه الا بعد تأمل وتفكر واعلم ان المانع من الادب في ابتداء الحال الحجاب واقامة الحجة كقوله الشرع أمرنا ان ننكر أشياء وان نقول الاولى ترك هذا والاولى فعل هذا وهذا حق لكن القائل جاهل بحكمة الله تعالى فيما اعترض فيه واما من اعترض مع علمه بالحكمة فهو معترض باعتراض الشرع لانه حينئذ ناقل اعتراض الله تعالى فيما اعترض ما هو المعترض فمن ذاق هذا فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ويقيم الحدود لأنه ما يرى شيأ الا ويرى الله سبحانه معه وهو أكمل ممن لا يرى شيأ الا ويرى الله فافهم هذا مشهد الصديق الاكبر رضي الله عنه اذا علمت ذلك وأردت تنهى شخصا عن فعل شئ فقل له لا تفعل الشئ الفلاني وتب وارجع الى الله تعالى هذا ما على الآمر والله غالب على أمره ولا تقل له لم فعلت لانه لا يفيد لانه وقع وانقضى فافهم ذلك ومن شأنه ما دام قاصرا عن درجة الفقراء الصادقين ان لا يتكدر اذا مرض ممن لم يزره من أصحابه ولم يفتقده بنفقة يستعين بها على مرضه من أجرة طبيب ودواء وغير ذلك لان ذلك ان كان خيرا لهم لكونه من حقوق الاخوان فهم الذين تركوه ومنعوا أنفسهم من الخير وان كان ذلك شرا لهم وله فقد استراحوا من مشاركته في هوى نفسه لان غالب الادوية لا يحتاج اليها فانفاقه ما يعطيه للفقير على حاجة عياله أولى من اعطائها للفقير لانه قد يعطيها لليهود أو يصرفها فيما يشيرون به عليه لاسيما ان كان الحكيم أعمى البصيرة فيجمع بين الباطن والظاهر اما الفقراء الصادقون رضي الله عنهم فهم

غافلون عن هذا الامر لا يلتفتون اليه بعلمهم لان الحق سبحانه أقرب اليهم من الخلق وتضييقه عليهم لشرفهم عنده فلا يشهدون ذلك بخلا منه لانه تعالى لا يمنع عن بخل وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم فافهم ذلك ومن شأنه أن لا يرى بيده نفعا ولا ضرا لاحد دون الله تعالى وانه لو توجه الخلق كلهم اليه فسلكهم وأرشدهم وانتفعوا به لا يشهد له بنسبة فى هدايتهم قال الله سبحانه وتعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وعلامة ذلك أن لا يرى له رفع منزلة على أحد من آحاد الناس المجتمعين عليه وكيف يليق ذلك به ولا هو شيخ الابهم ولذلك لو خرج فى سوق لا يعرفه فيه أحد ونادى باعلى صوته أنا شيخ من الأولياء لا يلتفت أحد اليه و يسخرون به واذا خرج والفقراء ماشون قدامه وو راءه مطرقين رؤسهم قال الخلق هذا شيخ من الصالحين ولو لم يعرفه أحد لان هيئة المشيخة قد حصلت باجتماع التلامذة حوله واعلم انهم ربما كانوا أكثر عبادة منه لما دخل به من البلاء فانه طول نهاره مع الخلق مضيع لحقوق الله سبحانه وتعالى وان اشتغل بذكر أو وردفهم ملازمون له فيه وما زاد على ذلك يفضلونه به فهم أحسن حالا منه وأقل آفات ولكن غالب الخلق انما يعظم المشايخ بالتقليد وانتشار الصيت ولما علم الفقراء القاصرون من الخلق ذلك اجتهدوا فى أول أمرهم حتى تحصل لهم مرتبة المشيخة وكثرة المعتقدين فلما حصلت لهم تركوا العمل والصوم والسهر والصمت والورع وأوهموا الخلق انهم لا يغفلون عن الله تعالى طرفة عين وان الأعمال الظاهرة انما هى للمبتدئين فطول نهارهم يلغون مع الخلق و يضحكون وتلامذتهم طول نهارهم يذكرون و يقرؤن فافهم ومن علامة عدم رؤية نفسه على آحاد الفقراء أيضا أن لا يتغير منه شعرة لو أعرض عنه تلامذته باجمعهم واجتمعوا بشخص آخر من أهل الخير من أقرانه فان تغير فهو منازع للربوبية ولا يخفى حاله لانه يطلب أن يكون شريكا لله تعالى فى تعظيم الخلق له ولو كان صادقا فى العبودية لما فرق بين هداية الخلق على يديه و بين هدايتهم على يد غيره لأن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل وحده على يد من يشاء من عباده فافهم واعلم أن من هذا حاله لا ينبغى له أن يتصدر لطريق المشيخة والتسليك لأن عليه بقية من علاج نفسه ودسائسها وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه احذر أن يكون ابليس أعلى منك فى الأدب مع الله تعالى قيل وكيف ذلك فقال لانه لم ينازع الله تعالى فى وصف من أوصافه قط وقال انى أخاف الله رب العالمين وغاية أمره انه خالف الأمر فاستحق اللعنة والطرد ومخالفة الأمر أهون من طلب العبد أن يكون شريكا لله عز وجل فيما يستحقه على عباده انتهى والموقع للعبد فى هذه المصائب حب الرياسة ومبادرة التصدر لهذا الباب قبل تأهله له وقد كان أهل العصر الخالى رضى الله تعالى عنهم لا يتصدر أحد منهم لهذا الباب الا بعد رسوخه وتمكنه فى مقام البقاء وليس بعده مقام الا القطبية لانه حينئذ يصدق عليه فى حديث فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق الحديث فلا ينطق حتى ينطق كما كان حال سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه فيأمن حينئذ من الدعوى و يسدد و يحفظ فى أقواله وأفعاله ومن ادعى وصوله الى هذه الدرجة فلا ننكر عليه بل نكل أمره الى الله تعالى فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا كما قدمنا معه الأدب ومواهب الله سبحانه وتعالى لا تنحصر على عباده وظهور الكرامات ليست بشرط فى الولاية انما يشترط امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فيكون أمره منضبطا على الكتاب والسنة فمن كان كذلك فالقرآن شاهد بولايته وان لم يعتقد فيه أحد ولا كان له أتباع ولا مريدون اذا علمت جميع ما تقدم فاحذر أن ترى لك عزة على المريدين الذين يجتمعون بك وتقول فى نفسك هم محتاجون الى ولست محتاجا اليهم فى تعليم شئ لان هذا جهل وهو دليل على أنك لم توف مقام الفقر حقه وانك مستدرج فى طريق الشيطان فلا يصلح منك التربية لأحد لانك تشهد فقر المريد اليك وهذا يحجبك عن فقرك الى ربك حالا لأن حالك هذا لا يعطيك الا الغناء بالله تعالى وذلك يطلب العزة ضرورة فافهم اما المحققون الراسخون اذا رأوا المريدين يفتقرون اليهم فيما عندهم من الله تعالى شكروا الله تعالى على ذلك حيث ألزم الله تعالى بهم فقراء اليهم ينبهونهم بصفة فقرهم اليهم على فقرهم الى الله تعالى فانه ربما لو لم يظهر صفة فقرهم اليهم لنسوا فقرهم الى الله تعالى فالمحققون يرون حق المريد اليهم أعظم من حقهم عليه لأنه شيخهم بالحال وهم مشايخه بالقول

والتربية

والتربية فتأمل هذا المحل فانه من النفائس والله يتولى هداك * ومن شأنه أن لا يتغير بشئ برز فى الكون لأن الفقير لا نفس له بقوة قربه من الحق فهو مع سيده لا يفارق مراقبته ولا يبغى به بدلا ومن هذا شأنه فهو ملازم للادب مع كل شئ لانه يشهد انه ما من دابة الا والحق سبحانه وتعالى آخذ بناصيتها وما يتحرك ذرة الا باذنه هذا مشهد أهل القرب وقد قال الجنيد رضى الله عنه لى منذ كذا وكذا لم تستبشع نفسى شيأ مما وقع فى الكون لأنى علمت ان الدنيا بنيت على ما تكرهه النفس من الاكدار والمصائب فكل شئ ورد على منها كان على الاصل فيها وكل شئ ورد على فيها من ضد ذلك من الأمور المحبوبة للنفس كان على خلاف الأصل فاشكر الله تعالى عليه فاريد ان أقلب الوجود عن أصله الذى خلق عليه لأجلى فلا يتلقانى الا بما أحب هذا جهل وقال القطب الربانى سيدى الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله عنه لو ان الخلق فريقان فريق عن يمينى يبخرنى بالند وفريق عن يسارى يقرض لحمى بالمقاريض ما نقص هؤلاء ولا زاد هؤلاء عن كونهم مظاهر للاقدار فاعلم ذلك واسلك طريقهم ان كنت تريد اللحوق بهم * ومن شأنه ان لا يتصدى لباب التسليك والمشيخة الا أن يكون يعرف تلامذته من يوم الست بربكم هكذا قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه أعرف تلامذتى من ذلك اليوم وأعرف من يفتح له على يدى ممن لا يفتح له واعرف من كان عن يمينى ومن كان عن شمالى اذا علمت ذلك فلمن هذا قدمه ان يمنع تلامذته من زيارة غيره من المشايخ لان كشف المتمكنين قل ان يخرم ويمحو الله ما يشاء ويثبت وأما من ليس له هذا القدم فليس له ان يحجروا سعا على الخلق لأجل قيام ناموسه حتى ينسب التلامذة اليه دون غيره والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فما قسم للعبد من انتفاع الناس به على يديه لا بد من وقوعه فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولم تخرج نفس من الدنيا حتى تستوفى ما قسم لها فيها والموقع للقاصر فى ذلك دعوى الكمال وانهم عارفون وهذا غلط منهم لأن من عرف الله تعالى لا يخفى عليه أمر تلامذته فمنع مثل هؤلاء عن زيارة غيرهم منع للخير بالجهل وان كان المانع هو الحق لانهم لو قسم لهم الاجتماع بغيره وقع فاوقات الاجتماع والافتراق بقدر معلوم فهم مؤاخذون بقصدهم ذلك ولا يكون الا ما يريد فلا يحل لقاصر ان يتشبه بأكابر الأولياء الذين كانوا يمنعون تلامذتهم الذين علموا بالكشف الصحيح انهم لا ينتفعون الا على يديهم ويظن أنه منهم ويمنع كمنعهم استنادا لما فى رسائلهم من الأمر بذلك من غير ان يكشف له ذلك فى حق من يمنعه من الزيارة بخصوصه فافهم واعلم ان شرط المسلك ان يعتمد فى التسليك على ما يلقيه الحق فى قلبه فيعطى كل شخص من جلسائه ما يقبله استعداده وأما من يطالع كلام الصالحين ويلقيه لكل جليس على حد سواء فليس بمسلك لانه لم يتكلم بذوقه انما تكلم بحكاية عن ما ذاقه غيره ومن هذا الملحظ خص موسى عليه السلام من دون الأنبياء بالمراجعة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فى التخفيف عن الخمس صلاة الى الخمسين لأنه كان اذ ذاك أعلم منه بهذه الأمور لذوقه فى بنى اسرائيل بما ابتلى به منهم فتكلم عن ذوق وخبرة اذا علمت ذلك فليس كلام الجنيد وغيره سواء ناسب حال الجليس أو لم يناسبه ويفارقه التلميذ فيقول لاخوانه فاتكم اليوم كل حكاية تدهش العقول فيظنون انهم سلكوا بسماع الكلام وهم لم يذوقوه لان كلام الكمل انما يذوقه بعض الذوق من هو فى درجتهم اذ لا يتحد اثنان فى ذوق وقال شيخنا رضى الله عنه لو طالع الفقير من كتب القوم عدة رمل عالج فى مدة عمر نوح لا يصير صوفيا بمحض المطالعة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ومن لم يقذف الله تعالى فى قلبه نورا يفرق به بين الحق والباطل لا يصلح لهذا الباب يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وسبب هذا كله ان القاصرين لما اجتمعوا بمشايخهم زمانا ولم يفتح لهم بشئ وانتظروا الاذن فلم يؤذن لهم خافوا أن تفوتهم المشيخة وقصدهم الخير لكنهم قاصرون محتفون بآفات لا ينجو منها أحد فى الغالب كما يعلم مما سيأتى فى الباب فجلسوا يسلكون التلامذة القاصرين ويعمدون الى كتب المشايخ المتقدمين ورسائلهم فيختصرونها وينسبونها لهم ويأمرون التلامذة بكتابتها وترجمة اسمهم عليها ويوهمونهم أنها من كلامهم وكل غوى واغوى يقدر على هذا الفعل وهم يظنون انهم يتكلمون بالعلم اللدنى وذلك انما هو كلام استفادوه من رسالة القشيرى أو عوارف المعارف أو غيرهما والتلامذة ليس عندهم شئ منها ولو كانت عندهم لنهوهم عن مطالعتها خوفا ان يعثروا على

الكلام الذى كانوا يتكلمون به فيختل اعتقادهم فيه لا خوف على التلامذة فرحم الله امرأ اذا عرف اعترف ويقولون فى المثل ما هلك امرؤ عرف قدره وكل مسلك لا يكون يقدر على استنباط الاحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك وقد تقدم ان العلماء كما ذكرنا فيه أسماء علوم الأولياء فراجعه تعرف قدر الأولياء والمسلكين وقد قال سيدى أبو السعود بن أبى العشائر رضى الله عنه من لم يكن كتابه قلبه لا يصلح لشئ من هذا الباب واعلم ان العارفين يعلمون أن الحق فى التغيير والتحويل ليلا ونهارا لتجدد الشؤون التى يظهرها الحق تعالى كل يوم لقوله تعالى كل يوم هو فى شان فلذلك نهوا المسلك أن يسلك من الكتب لأن لكل زمان دولة ورجالا وكلام البشر انما يعطيهم بحسب قابليتهم فى ذلك الآن فأى فائدة للتلميذ الآن بذكر ما كان الجنيد أو أبو يزيد أو معروف أو غيرهم يقولونه لتلامذتهم لأن الأمراض تتجدد فى القلوب فى كل زمان فكل زمان لأهله أمراض غير أمراض أهل القرن الذى قبله بل قال شيخنا رضى الله عنه ان كل وقت له مرض جديد بل كل نفس له حال غير الآخر كما يشاهد ذلك أهل الله تعالى وهى مرتبة الكمل من الرجال أصحاب الانفاس رضى الله عنهم أجمعين فكانوا رضى الله عنهم يعطوا كل جليس حقه ويعرفون من يفتح لهم على يديهم وكانوا يراعون تلميذهم وهو فى الأصلاب كما وقع لشيخنا رضى الله عنه مع شيخه وكما وقع لسيدى الشيخ محمد بن هارون مع سيدى الشيخ ابراهيم الدسوقى وكما وقع لسيدى أبى السعود بن أبى العشائر مع سيدى حاتم وكما وقع لسيدى الشيخ محمد المغربى مع سيدى الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنهم أجمعين فاعلم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين *ومن شأنه أن يحذر من الالفاظ التى ظاهرها الدعوى والتزكية للنفس كقوله نحن ما بقينا ناس الا من حين اجتمعنا بالشيخ الفلانى وكقوله الكشف انما يقع للناقصين والكاملون لا كشف لهم موهما للحاضرين أنه كامل حيث لم يقع له كشف على شئ أو كشف ولم يصادف الواقع كما يقع ذلك كثيرا للقاصرين لأنهم يكشف لهم عن الأمر فيتكلمون به فيقع بخلاف ذلك وهم صادقون فيما أخبروا به لان المحو والاثبات واقع ليلا ونهارا والحق لا تقييد عليه فيما يفعل فهم يظنون أن الأمر باق على ما شهدوه رضى الله عنهم أجمعين فلهذا كان من الأدب السكوت على ما يكشف ولا يبرزونه الى الوجود حتى يبرزه الله تعالى فان وافق كان والا كانوا قد لزموا الأدب مع الله تعالى وبالجملة فأهل الكشف عزيزون فى الوجود على أن العارفين أجمعوا على أن من لم يكن مأكله حلالا لا يعرف يفرق بين الخواطر وهذا عزيز فكيف بالكشف فافهم ذلك *ومن شأنه أن يحب من يحسن اليه لله تعالى لا لاحسانه وهذا لا يدرك الا ذوقا لان تمييز ذلك عسر لا سيما والقلوب جبلت على حب من أحسن اليها فافهم ذلك *ومن شأنه ان لا يظهر عند زيارة من يستحى منه من المشايخ وغيرهم ممن يعتقده ناموسا واطراقا زائدا على حالته التى يكون عليها اذا خلا بنفسه لان المزور ان كان من الفقراء فانما ينظر الى الباطن لا الى الجوارح الظاهرة والمؤمن ينظر بنور الله وان كان من أبناء الدنيا فليحذر الزائر من مقت الله له لريائه وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه ولو دخل على شخص فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخفت أن أكتب عند الله تعالى فى جريدة المنافقين فافهم ذلك ومن هذا القبيل ما اذا دخل عليه من يعتقد فيه الصلاح وهو على حالة يخرج عند المعتقد فى اعتقاده فيه كما اذا دخل عليه وهو يمزح أو يكثر من الضحك فينبغى أن لا يتغير عن الحالة التى يكون عليها لاجل الداخل بل يستمر على الضحك أو المزح الذى كان عليه أو يفعله لو لم يدخل المعتقد فيه فان ذلك خرق لنظام النفس الذميم وهو أهون من حصول النفاق والرياء الحاصل بترك المزح والضحك *ومن شأنه أن لا يكون عنده طلب لحالة يعظم بها فى عيون الخلق ولا يعظم بها عند الله تعالى كلبس الفرجيات الصوف الرفيعة والعمامة والعذبة لان ذلك من قلة المعرفة بالله تعالى ولذلك ستر الكمل مقامهم عن الخلق لحكمة الموطن الذى هم فيه وذلك من عناية الله تعالى بهم فلا يريدون الظهور فى محل نوزع فيه سيدهم فى الالوهية وهذا من كمال تحققهم به لان سيدهم استتر فى الموطن الذى هم فيه فلذلك جروا مع العامة على ما هى عليه من ظاهر الطاعات التى لم تجر العادة فى العرف ان يسموا بها من أهل الطاعات وستروا الكرامات وخرق العوائد فلا يعرفهم الا من كان فى مقامهم فهم ضنائن الله تعالى وعرائسه فلا يشهدون سواه ولا ينصرم هواه اليهم

وأين هؤلاء ممن يطلب الشهرة فهو يتريض ويختلي ويتلو أسماء يستخدم بها الجان في صرف وجوه الخلق اليه دون غيره وذلك لا يزيده من الله الا بعدا ومقتا * ومن شأنه أن يخفض جناحه للمؤمنين امتثالا لأمر الله تعالى لا لعلة من العلل كنسبته الى حسن الخلق وتهذيبه وانه متخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وانه ماتت نفسه وانه أهل لأن يزن المريدين لانه فرغ من علاج نفسه وأخلاقها وغير ذلك فاعلم ذلك فلا ينبغي له أن يتكلم بالكلام الحلو لتلامذته الا لمصلحتهم فقط لا خوفا أن ينفر وا من حوله لاسيما ان كانوا يجرون اليه نفعا من كسوته ونفقته وغير ذلك لان الفقير الآن دائما أكله على الناس الا من يأكل من عمل يده وهذا قليل فغالب ما بأيدي الفقير الآن صدقات الناس وأوساخهم وهداياهم نسأل الله العافية فالواجب على الفقير أن يكون دائرا مع الحق واتباعه لا مع حظ نفسه فلا يرغب التلامذة في طريق الصالحين الا محبة لله تعالى ورسوله وعلامة ذلك أن يرغب التلميذ اذا شاوره أن يأخذ عن أحد من أقرانه كما يرغبه اذا أراد أن يأخذ عنه فكثيرا ما يقع من القاصرين لما يشاورهم احد في الأخذ عن أحد من أقرانهم أن يقولوا له أنت بخير لا تحتاج الى شيخ لانك تصلي الفرض وتتلو القرآن وتشتغل بالعلم وايش المقصود بخلاف ما اذا أراد أن يأخذ عنهم ويقولون له الطريق أمراضها كثير ولا بد للعبد من شيخ ويبينوا له أن فيه كل عيب فافهم ذلك ان ربك لبالمرصاد * ومن شأنه أن لا يفرح بزيارة الناس له في وقت حزبه وأوراده ومجاوله التي فيها قوة للنفس بل يجب عليه أن يحب أن لا يقام له تعظيم في قلب أحد والخمول نعمة وكل أحد يأباه وقد قال شيخنا رضي الله عنه في رسالته واسع الى زيارة اخوانك قبل أن يأتوا اليك فافهم ذلك ومن شأنه أن يستر حالته وعورته الباطنة ما أمكن وليحذر من استلذاذه بهيئة الخشوع وحصول الرعدة وضم الاكتاف واطراق الرأس الا أن يكون مغلوبا ولير ذلك ما استطاع فان حكم من ظهر منه شئ من ذلك مع القدرة على دفعه حكم من جلس في بيت الخلاء مكشوف العورة مع قدرته على رد الباب فكل من يراه يلعنه وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصا قد ضم أكتافه في الصلاة فضربه بالدرة وقال له ويحك الخشوع انما هو في القلب فاحذر ذلك واحذر اذا رأيت هذه الحالة في شخص ان تحمله على الرياء والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن ينظر في مصالح اخوانه ويأمرهم بالحرفة وعمل اليد ولا يمطلهم بالاخذ منه في الولائم وغيرها ولو طلبوا ذلك لأنهم قاصرون عما يصلحهم وكل ساعة تمر على العبد وهو في حرفته التي يعود منها نفع عليه وعلى عياله أفضل من حضور ألف وليمة معه لا يتعين عليهم حضورها وكذلك لا ينبغي له أن يعاهدهم على حضور مجلسه لأن ذلك قلة أدب وهو دليل على جهله لأن أوقات الاجتماع والافتراق مقسومة فالأدب ترك المعاهدة وما سبق لا بد منه وقد قال العارفون رضي الله عنهم من لا ينفع لحظه لا ينفع قوله فالعارف من يسلك الناس وهم في حرفهم وقد رأيت في عالم الخيال طائفة من الفقراء وهم متجردون عن أعمالهم الصالحة وهي عنهم بعيدة كقطع الجبال وليس معهم الاستاذ تهم فقلت لهم ما بال أعمالكم الصالحة عنكم بناحية فقالوا أخذها أصحاب اللقيمات التي كنا نأكلها في دار الدنيا لأن كل طاعة تقوينا عليها بلقمهم فثواب تلك القوة لهم انتهى فلذلك حث الشارع على العمل باليد ولم يزل العارفون رضي الله عنهم يحثون على ذلك وعلى الورع عن الأكل من مال غيرهم ما أمكن وقد كان جدي علي الشعراوي رضي الله عنه من أهل الورع حتى كان لا يأكل من لبن الجاموس لانه لا ينضبط في الغالب على الاكل من مال مالكه وكذلك كان لا يأكل طيرا لحمام الذي يلتقط البذر من الزرع وكان رضي الله عنه اذا طحن يرفع الحجر وينفضه من الدقيق الذي يكون فيه ويغسله ثم يطحن وكان توقف آخر أمره في أكل عسل النحل لأكله من أزهار الناس المملوكة وقد جاء رجل الى الحسن البصري رضي الله عنه ليعلمه الورع فقال يا أخي انا لا أصلح لأن يؤخذ عني ورع لاني أكلت من أموال السلاطين ولكن امض الى فلان في الكوفة في مزرعته وله بقرة يرعاها فيها قد جعل لها فيها بئرا تشرب منها وتبنا تأكله فمضى اليه فوجده على الحالة التي وصفها له فقال له ما حاجتك فقال جئتك تعلمني الورع فقال ممن أرسلك قال حسن البصري فقال غفر الله تعالى لأخي الحسن كان عهده بشئ وتغير الحال فقال وما سببه فقال اشتغلت بصلاتي عن البقرة فخرجت عن مزرعتي الى مزرعة جاري ورجعت وفي قوائمها طين فاختلط على طيني فلا أصلح لأن يؤخذ عني

وروع امض الى غيرى فهكذا كان الفقراء رضى الله عنهم فافهم ذلك وكل شئ فاتك من طعام الناس ومالهم فاحمد الله سبحانه وتعالى على فواته ولا تحزن على شئ فاتك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يكون ناصحا لنفسه ولاخوانه من غير قصد ولا دعوى ورؤية نفس عليهم بشرط أن لا يعوقه ذلك عن علاج أخلاقه ودسائسه فانهم يقولون يقبح على معلولة صدق تصف دواء للناس هذا من باب الزجر عن الغفلة عن عيوبه والا فالأمر بالمعروف واجب على الشخص لغيره وان كان هو مرتكب ذلك الشئ الذى ينهى عنه فيأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر فافهم ذلك * ومن شأنه اذا ابتلى بالتصدى لباب التسليك قبل تأهيله له انه ينبغى له أن يرى ان غير تلك الحالة التى هو عليها أولى دائما الا تميل نفسه اليها فيهلك وذلك لضعفه عن تمييز حظ النفس من غيره فان فتح باب التلقين لكلمة التوحيد يرى ان تركه لذلك وتلقينه هو كلمة التوحيد من غيره كان أولى وان كان ذلك مقدرا الا انا نؤمن بالقدر ولا نحتج به وذلك لما يشاهد من قلة جدواه وعدم بنائه على أصل صحيح لان شرط التلقين عند القوم أن لا يكون الملقن الا بعد ماتت حظوظ نفسه الدنيوية والأخروية وهذا شرط عندهم ولا يخفى ان التلقين الآن فى عرف العوام الذين لم يعلموا رتبة الشيخ المسلك علامة على أن صاحبه ولى لله تعالى ولا يخفى ما فى ذلك من التعرض للآفات التى لم يسلم منها الا القليل فينبغى لمن يلقن الناس ان يراه ابتلاء من الله تعالى ويلقن على سبيل التشبه بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات ويسأل الله الاقالة من ذلك ويأخذ خواطر اخوانه أن يدعوا الله تعالى بالخلاص من ذلك فذلك دليل على صدق كراهيته لهذا الباب وان اختلى واعتزل يرى ان ترك ذلك والخلطة أولى وان كان يحصل له بها نفع لان لها أصلا عند بعض القوم لانهم يجدون فى الفرار من الخلق راحة لنفوسهم وحرجا وضيقا فى مشاهدتهم ولو نظروا وجه الحق فيهم ما فروا منهم وكانوا يخلون بنفوسهم لان من شهد ان الله تعالى مع كل شئ كيف يفر منه والرجل انما هو من يكون مع الخلق بجسده ومع الحق بباطنه واحذر من الاحتجاج على مشروعية الخلوة باختلائه صلى الله عليه وسلم بغار حراء فانه قلة أدب لان تلك الأمور لا يذوقها غير كمل الورثة الخارجين عن الهوى الثابتين على القدم فافهم واعلم أن طريق السلوك بالخلوة والرياضة طريق جماعة من المشايخ وليست بطريق أصحابنا رضى الله عنهم اذهم راضون عن الله تعالى فى كل حالة أجراها عليهم وليس لهم نظر ولا تطلع الى مقام ولا حال فى الدنيا والآخرة ليتربصوا لحصوله فافهم واعلم ان كان قصد بالخلوة أن لا يرى الاغيار فالاغيار مع من لازم الخلوة لانه يرى نفسه والحيطان والسقف والفرش والابريق وما يأكل وما يشرب فالذى فر منه ملازمه لم يفارقه فليس هو فى خلوة ولأن من كان شيخا كاملا لا يخاف من تفرقه عن الحق برؤية الخلق حتى يختلى للتقوى على مخالطة الخلق فدعواه بخلافها على أن غالب هؤلاء المدعين بنفوسهم لا بالله تعالى لان الخلوة بالله تعالى لا تكون فى كل زمان الا لواحد وهو القطب الغوث لانه الذى ينفرد به الحق ويخلو به دون خلقه فاذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصين فى زمان واحد وهذه الخلوة من علم الأسرار التى لا تذاع وورد بها الكتاب والسنة ولا يشعر بها الا أهل الله تعالى وخاصته قاله شيخنا رضى الله عنه وأرضاه واعلم انه ليس فى هذا الذى قررناه انكار على من يختلى لمشروعيتها عند بعض القوم وانما المراد أنه ينبغى أن لا يركن الى شئ من أحواله لان فى ذلك هلاكه وقد يحجب أحد من بلاد بعيدة أو موضع بعيد لحاجة ضرورية فلا يتمكن من الوصول اليه وهذا من أقبح ما يترتب على الخلوة لان فيها اقيام ناموس على الزائر اذا جاءه ووجد الشيخ مختليا يكاد أن يخرج للشيخ وكفى بهذا مصيبة عند أهل الله تعالى بخلاف ما اذا جاءه فوجده عزح ويضحك ولا ينبغى لمن ليست الخلوة طريقته أن ينكر على من يختلى لان كل أحد ملازم ما وجد قلبه عنده فافهم وان ركب وجماعة يمشون حوله بحيث يتميز يرى أن تلك الحالة أولى لما لا يخفى ولانه صلى الله عليه وسلم منع أبا هريرة رضى الله عنه أنه يمشى خلفه هكذا ينبغى له أن يحمل حال نفسه دائما وأما الانكار عليه من غيره وحمله على أنه يحب الرياسة والشهرة فهو حرام عليه والواجب على كل مسلم أن يحمل حال أخيه المسلم على محامل كثيرة ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق كما قاله النووى فى شرح المهذب فافهم ذلك وان أقبل الناس

عليه بالتعظيم والثناء وتقبيل الأيدي والارجل يرى ان ذلك ابتلاء من الله تعالى بقلبه لا بلسانه وهكذا في جميع
أحواله التي ظاهرها الصلاح فيشهد أعماله دائما بغير الرياء والنفاق والمخالفة للسنة وان فعل صورة فعله صلى الله
عليه وسلم لأن الخلق قاصرون عن حقيقة الاقتداء به صلى الله عليه وسلم اذ لا بد في عباداتهم صلاة كانت أو غيرها
من الخلل والنقص وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه
يقول من أراد أن ينظر الى مرآى فلينظر الي وقال معروف الكرخي رضي الله عنه أشتهي أن أموت في بلد غير
بغداد فقيل ولم ذلك فقال خوفا أن لا يقبلني قبري فأفتضح ويسيء الناس ظنهم بأمثالي رضي الله تعالى عنهم
وكذلك طلب جماعة من الفقراء كرامة من سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله عنه وهم مسافرون وقد
أقبلوا على بلد فقالوا يا سيدنا أرنا ذلك قبل طلوع البلد قال على الرأس فطلعوا الى البلد ولم يروا شيأ فسألوه ثانيا
فقال وأي كرامة أعظم من ان الله تعالى أمسك الأرض لنا حتى مشي عليها ولم يخسفها بنا فانظر يا أخي أحوال
العارفين والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أصل الافعال
الشاقة على النفس من قيام الليل واحتمال الاذى بغير حق ونحو ذلك ولا يقتصر على الاشياء الخفيفة على النفس
كالعذبة ولبس الصوف والسواك ونحو ذلك فمثال من يقتصر على ما ذكرنا من الأمور الحقيقية الظاهرة وهو
يرتكب في الباطن ما يستقبح مثال من تضمخ يوم الجمعة بغائط كلب في جميع بدنه وثيابه فلما خرج الى الجمعة رش
عليه بعض ماورد في تبخر فقال له بعض الناصحين اترك هذا التطيب ونظف بدنك وثوبك فانه أهم فقال له لا أترك
التطيب ولا أفعل الا السنة وأهمل نظافة بدنه وثوبه من النجاسة فاي فائدة للتطيب المذكور مع قذارة ما تحته
وقبح رائحته فهكذا نظر العارفين وكل من فتح الله تعالى بصيرته وانكشف له ما فيه من الخبائث اشتغل عن تزين
الظاهر بامور يستغرق العمر في علاجها وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه يبكي ويقول من أراد أن ينظر
الى مرآى فلينظر الي فرضي الله عنه فاين هذا ممن يشهد نفسه بالصلاح بالزي والمنطق وغير ذلك من مواسم
الصالحين اذا علمت ذلك فابدأ بالأمور المهلكة فنظف باطنك منها ثم بعد ذلك افعل الأخف فمن ذلك محبة الدينار
والدرهم وسائر أمتعة الدنيا وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يبيت على معلوم وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى
السوق فيأتي بالملح واللحم في حجره وفي يده ولا يمكن أحدا من حمله ويقول صاحب المتاع أحق بحمله وغير ذلك من
اخلاقه صلى الله عليه وسلم واخلاق أصحابه رضي الله عنهم أجمعين وليحذر من خوف سقوط حرمته اذا خرج الى
السوق وخالط السوقة فان هذا رعونة نفس ورؤية نفسه انه خير منهم وذلك خطأ منه فان السوقة على خير كبير
وهم أكثر نفعا للخلق منه ومن تأمل الطباخين والزياتين وغيرهم من الخبازين وجد نفسه لا يجيء خادما لهم
لانهم طول نهارهم في منافع الخلق وهو أكثر أوقاته فارغ ليس بيده حرفة يتعدى نفعها الى أحد ولكن كل شئ بقي
بالقلوب اذا علمت ذلك فينبغي له خرق ناموسه ونظامه ولا يتقيد بحالة واحدة كالاعتناء بالعمامة الرفيعة والصوف
الرفيع ونحوهما بل يكون على اليسير في جميع أموره فيلبس ما وجد ويأكل ما وجد ويخبز الخبز ويكنس
البيت ويطبخ الطعام ويخدم الارامل والايتام ويملأ الماء لهم ويتكلم مع العوام كانه منهم ولا يتميز عنهم بشئ
فان ضد هذه الامور يحمل له نظاما ورياسة ولذلك يطلب أن يساعد صاحب الحاجة فلا يمكنه من ذلك ويقول
كيف أستخدم الشيخ ولم يعلموا أن الشيخ أحق بالخدمة من غيره لان نفسه تهذبت فهو أسرع للانقياد للخدمة
من غيره لكن لما رأوا رياسته ونظامه لا يسهل عليه خرقهما تركوا استخدامه لما قام في قلوبهم أنه يكره ذلك في
الباطن وقد كان الشيخ جلال الدين المحلي عمدة المحققين بمصر رضي الله عنه يستخدمونه العجائز وأهل حارته في
خبز الخبز وشراء الزيت الحار ونحوهما من السوق على الدوام لما قام عندهم من عدم نفسه وليحذر من نصرة
نفسه وقوله انما يفعل ذلك لمصلحة الخلق والفقراء لانه ينبغي للشيخ ان لا يكاثر تلامذته بالمجالسة لانها تذهب حرمته
من قلوبهم فلا ينتفعون به فيجعل نفسه أولا انه شيخ وثانيا ان بيده هداية الخلق وهذا كله اذا وقع من أحد فهو
دليل على ضعفه أو سذاجته فقد كان صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وأنزل عليه ما على
الرسول الا البلاغ وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وغير ذلك من الآيات وبتقدير أنه

صلى الله عليه وسلم كان يفعل بعض الاوقات أضداد هذه الأمور السابقة فهو معصوم من دسائس النفوس وقد أصلح صلى الله عليه وسلم طيات عمامته فى جب الماء ولبس الثياب الحسنة لما قدم عليه بعض الوفود وجلس على مصطبة من طين لما سأله الصحابة رضى الله عنهم ان يتميز عنهم بشئ ليعرف من بينهم فيسأل عن أحكام الدين فكان تميزه صلى الله عليه وسلم محض مصلحة للمسلمين فمن تبعه فى هذا الفعل فليراع الصدق فى ذلك واعلم أن الفقير الضعيف لا يجوز له أن يتشبه بالاكابر الاقوياء فيهلك نفسه لعدم معرفته بمداخل النفس والشيطان والهوى كمن يلبس الثياب النفيسة تشبها بسيدى على بن وفاء وسيدى الشيخ مدين رضى الله عنهما وغيرهما من كمل العارفين وأين الحال من الحال والمقام من المقام وكراماتهم أصدق دليل على أنهم ماتت أهويتهم وحظوظهم لأنه محال أن يعطى الولى كرامة من كشف أو غيره وبقى له حظ للنفس فى الدنيا والآخرة ولسيدى الشيخ مدين رضى الله عنه ان منارة زاويته مالت مع الفراغ منها فاراد الحكام انه يشوش على الذى بناها فخرج الشيخ رضى الله عنه وجعل ظهره فى المنارة حتى قعدت على أصلها بلا ميل وقد وقع أن بعض تلامذته وقع منه فى البحر صرة فيها دراهم أيام النيل فجاء الى الشيخ وأعلمه بها فوضع الشيخ يده تحت السجادة التى تحته وأخرج الصرة تخر ماء وقد وقع أن شخصا تعرض لبنت تلميذه فى برية من بلاد العجم والشيخ كان داخل الخلاء بمصر فعجزت البنت عن رد الشخص عن نفسها فضربه الشيخ بفردة القبقاب فجاءت فى عنقه فارتمى وأخذت البنت فردة القبقاب وجاءت بها على والدها فعرف أنها من قبقاب الشيخ فلما جاء الى مصر جاء بها معه وغير ذلك مما هو مشهور وأما الشاذلية فمنهم الأقطاب وحالهم مشهور رضى الله عنهم فمثل هؤلاء يلبسوا كيف شاؤا ولا يضرهم أما الضعيف الذى أضاء له فتيلة ضعيفة فادنى هوى يطفيها فافهم واعلم انه لا ينبغى الاعتراض على من يقول أنا قوى ومثل هذا لا يضرنى فتكل أمره الى الله تعالى فانه لبس مباحا وكون ذلك يدخله أمور محرمة باطنة وليس ذلك الينا والتسليم أسلم انما يكون الانكار على فاعل المحرمات الظاهرة ومن علامات صدقه فى دعوى القوة وان لبس الثياب النفيسة ونحوها لا يضره أن لا يجد فى نفسه استحياشا من الخلق اذا خرج بهيئة مزرية بحضرة من لا يعتقده ومتى وجد فى نفسه استحياشا فهو دليل على بقاء الهوى فى النفس وان ذلك اللبس لهواها لا لعلة أخرى اما خروجه بالهيئة المزرية بحضرة من يعتقده فلا استحياش فيه لأنه يعلم منه زيادة الاعتقاد لحملهم له على انه فى حال واعلم انه لا باس بلبس الثياب الحسنة لمن ليس له حالة يعظم بها عند الناس سواء كانت دنيوية أو أخروية تخوفا ان يزدريه أحد فيقع فى الاثم وهو كثير الوقوع فى طائفة الفقراء الآن فان غالبهم ليس فى باطنهم نور يفرق به فيعظم صاحب الثياب الحسنة ولا يعبأ بغيره وان كان من الاولياء فاذا كان الفقراء كذلك فأبناء الدنيا من باب أولى اما من له حالة يعظم بها عند الناس كصلاح وزهد فلا يزداد الناس فيه بلبس الثياب المزرية الا اعتقادا فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين *ومن شأنه ان لا يتكدر ممن بلغه عنه انه يخرج عن رتبة الصالحين ويقول فلان لم يذق شيأ من طريق الصالحين لانه ان كان صالحا عند الله تعالى لا يخرج بكلام هذا المنكر من صلاحه عنده وان كان غير صالح وقد صدق فلا ينبغى التغيظ عليه بوجه ولا ينبغى له أن يرسل للمنكر الكلام الحلو ليحسن اعتقاده فيه فان هذا الباب يطول وان رضى واحد سخط عليه عشرة لان الفقير لا يلتفت الى سوى الحق تعالى وان تعصب لنفسه تعب ومثال من يفرح بمدح الناس له بالصلاح وهو خال عنه مثال من بلغه عن تلميذ له انه يقول ان شيخى يخرج منه عند قضاء الحاجة رائحة كرائحة المسك فيفرح بذلك ويقول الحمد لله رب العالمين وهو نفسه يعرف قذارة ما يخرج منه ونتنه حتى يسد هو أنفه وأى غرور فوق هذا فكيف يكون مسلكا وهو لا يقدر على احتمال الأذى من آحاد الخلق فافهم ذلك *ومن شأنه أن يراعى الأدب ويرى أنه أضعف خلق الله تعالى فليحذر من قوله للتلميذ اذا وسوس لك الشيطان وأنت فى الذكر فى خلوتك فاصرخ باسمى فانه يهرب فان هذا دليل على أنه يرى نفسه من الاولياء العارفين ويظن أنه منهم والظن أكذب الحديث واذا كان الشيطان يلقيه ويصرعه هو كيف يهرب اذا صرخ تلميذه باسمه ويقولون فى المثل اذا كان الحلو ضرب مقارع فكيف بالحامض وكان الاولى بالأدب أن يقول له اذا جاءك

الشيطان اذكر اسم الله تعالى أو اسم النبي صلى الله عليه وسلم أو اسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان الشيطان كان يفر من ظله واذا كان الشيطان يفر اذا ذكر اسم الله تعالى كيف يفر اذا ذكر أحد من الاغيار فافهم وروى الامام أحمد بن حنبل أنه صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الجن جاءه شيطان وبيده شعلة من نار يريد يحرق بها وجه النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فعلمه كلمات فقالها فطفئت النار اه فانظر ما أعطاه الله من التسلط على بني آدم وروى البخاري رضي الله عنه في باب صفة ابليس وجنوده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي فشد علي يقطع الصلاة فأمكنني الله منه اه فليتأمل الشيخ ذلك والسلام وان ادعى انه انما قال للتلميذ أصرخ باسمي انه جاهل بمقام غيره فنقول كان الأدب ان تعلمه الادب في حق من هو أعلى منك رتبة لانه أقرب الى مقصودك من اصلاح التلميذ ولو شهدت أن الحق تعالى هو الفاعل في ذلك بواسطة الاعتقاد في الواسطة لتساوى عندك واسطتك وواسطة غيرك وقد حبب لي أن أذكر لك مناظرة الامام حجة الله على المحققين من كمل الأولياء سهل بن عبد الله التستري مع ابليس لتعلم قوة تسلطه على الخلق ولولا ذلك ما خوفنا الله منه قال سهل رضي الله عنه لقيت ابليس فعرفته وعرف مني اني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث ان وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شيء فعم ولا يخفى عليك اني شيء بلا شك لان لفظة كل تقتضي العموم والاحاطة وشيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل رضي الله عنه فوالله لقد أخرسني وحيرني بظفره بمثل هذه الآية فانه فهم منها ما لم أفهم وعلم منها ما لم أعلم فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون سررت وتخيلت اني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصمه وقلت يا ملعون ان الله تعالى قيدها بنعوت مخصوصة يخرجها من ذلك العموم فقال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآية فتبسم ابليس وقال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ ولا ظننت انك هنا ألست تعلم يا سهل ان التقييد صفتك لا صفته قال سهل رضي الله عنه فوالله لقد أخرسني ورجعت الى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي ووالله ما وجدت جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت أنه طمع في مطمع عنده وانصرفت وانصرف قال سهل رضي الله عنه فهممت أن آخذ عن ابليس طريق المعرفة وان لم ينتفع هو بها القول لبعضهم رضي الله عنهم انظر ما قال ولا تنظر الى من قال فتأمل هذه المناظرة تفز بما فيها والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه ما دام تلميذا أن يتأدب مع شيخه ويعتقد فيه ما أمكن فان ذلك نافعه ان شاء الله تعالى وليحذر أن يعتقد في شيخه انه أكمل المشايخ الموجودين الآن فان في ذلك قلة أدب مع القطب وأرباب النوبة وغيرهم من كمل الأولياء مع ما قد يكون في ذلك من الكذب انه حدث بالظن وهو أكذب الحديث فلا يكون التفضيل الا لمن علم ذلك باعلام الهي لا لغيره فافهم وقد قال الكامل المحقق الفاضل المدقق الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ان على قدم كل نبي وليا وارثا له فما زاد فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون فان زادوا فقسم الله علم ذلك النبي على من ورثه فاذا كان الأمر على هذا فكيف يفاضل ولم يحط بالجميع ولم يعرفهم فافهم وتأمل قول الامام أبي حنيفة رضي الله عنه لما سئل ايما أفضل الاسود أم علقمة فقال رضي الله عنه والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم فانظر أدبه رضي الله عنه في الامساك عن الخوض بلا علم وانظر احتقاره نفسه واسلك طريقه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين ومن شأنه ان يلزم الأدب مع القطب وغيره ولا يقول نحن خارجون عن دائرة القطب رضي الله عنه فان ذلك سوء أدب ومن أين له ذلك وهو لم يعرف القطب ولم يجتمع به فان أعطاه الله تعالى الكشف عن ذلك جاز له والادب خلافه فلا يحمل التكلم في ذلك بالتقليد كمن سمع مشايخه يقولون ذلك فقلدهم في هذا القول وبالجملة فمن لم يعرف الاولياء وأرباب النوبة والقطب فهو معذور لأنه لا يعرف الأدب معهم الا من عرفهم فكيف يدعي أنه من الاولياء وهو لم يعرف أحدا منهم فان أهل حرفة لا بد أن تعرف بعض أهل تلك الحرفة

وكيف يدعي أنه من أهل الحضرة وهو لم يعرف أحدا من أهلها فافهم ذلك * ومن شأنه أن لا يسأل ولا يرد ولا يدخر
هذه طريقة الشاذلية وهي طريقتنا الآن فيما نعلم حله ونرجو أن تدوم علينا نعمة الترقي إن شاء الله تعالى
* ومن شأنه أن كل من تمشيخ عليه يتلمذ له وإن مد له يده ليقبلها فليقبل رجله ويكون دائما آخر شعرة في الذنب
لأن الضربة أول ما تقع في الرأس ويكون غاضا عن عيوب الناس فإن نظره في عيوب الناس يحدث له عيوبا لم
تكن فيه قبل ذلك * ومن شأنه أن يفرح إذا ظهر شيخ آخر غيره ببلده وانقلبت جماعته إليه ونكثوا عهده
لأنه قد كفاه المؤنة وصار متفرغا للعبادة لله تعالى لا يصرفه عنها شيء فمتى تكدر بذلك فهو محب للرياسة والشهرة
عند الناس ومن علامات حب الشهرة أيضا إذا أثني على أحد من أقرانه بحضرته ينقبض ويصبر على وجهه
كآبة لا سيما إن رفع منزلته عليه في الثناء بحضرة من يعتقده فعلم أن من يتخذ المشيخة حرفة يقع في أمور
مذمومة لا تحصى لأن أكله وشربه ونفقته منها فلذلك يلزمه الخضوع لمن يحسن إليه من الأغنياء وأرباب
الدولة ويحب إظهار الناموس حين يحضرون عنده ويستحلي مجيئهم إليه لا سيما في محافله ومحل نظامه
ويخاف من تفرقتهم عنه خوفا أن يقطعوا عنه المدد من القمح والجبن والعسل ونحو ذلك مما يجتمع عليه الفقراء
لأن اجتماع الفقراء في الزاوية عند الفقير الذي لا حرفة له ولا لهم ويقول ملخ الزاوية نحن في نعمة غارقون فيها
من فضل الله تعالى لا نعرف تجيء من أين ونسي أن سببها كونه من أهل الدين عند المعتقدين فإنهم إنما يبرره
لأجل دينه وحسن سمته فأكل الدنيا بالدين من حيث لا يشعر وهو يظن أنه سالم من ذلك وقد قال الفضيل بن
عياض رضي الله عنه لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إلي من أن آكلها بديني هذا لمن له دين وحالة حسنة
صالحة موافقة لحال المعتقدين فإن كانوا يعطوه لأجل الصلاح وهو عار عنه فأكله ذلك حرام شديد التحريم فافهم
ذلك * ومن شأنه أن يرفع همته عما بأيدي أصحابه من الدنيا ويخفي حاجته عنهم ما أمكنه إيثارا لتحمل المشقة عنهم
وقد كان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع وما كانوا يعرفون جوعه إلا باصفرار الوجه صلى الله
عليه وسلم وليحذر من التعريض بحاجته إلى بعض الأمور بحضرة الأغنياء المعتقدين فيه كسؤاله عن ثمن الجبن
أو الحطب أو العمامة أو الفوطة أو المداس أو منديل النساء أو كوفية لصغير عنده أو غير ذلك منه لأفهامهم أن
الفقراء محتاجون إلى ذلك وهم يعلمون أن ليس معه شيء يشتري به ذلك فيبادرون لشرائه فكأنه سأل تصريحا
واعلم أن التعريض لهم لمصلحة الفقراء الذين عنده أخف أمرا من نفسه وعياله وقد تناظر كلب السوق مع كلب
الصيد فقال كلب السوق لكلب الصيد ما لك لا تقنع مثلي بكسر المزابل وتستريح من مخالطة الملوك والأمراء
وإني أراهم يغرونك ويكرمونك ويهينوني ويطردونني فقال كلب الصيد أنا وإن خالطتهم فإني معزوز مكرم
لأني إنما أصطاد لغيري وأنت لما كنت تصطاد لنفسك أهنت وحقرت وطردت على المزابل فإن كان ولا بد
من قبولك الرفق من الإخوان المتقدمين فاحذر أن توهمهم أنك قادر على الأكل من الغيب وأنك قادر على قلب
الأعيان ولكن تركت ذلك أدبا سواء كنت محقا أو مبطلا فإن ضرر ذلك شديد ومما يثبت هذه التوهم حكايتك
عن الأولياء الذين قلبت لهم الأعيان وقولك إن ذلك نقص والكاملون لا يقع منهم شيء من ذلك وإن كانوا قادرين
عليه فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يجالس الفقراء أصحاب القمل ويفلي ثيابهم
لا سيما إن كانوا عميانا ولا يزدري الجلوس معهم لأن الله تعالى عاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق
الأعمى فقال عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى الآية فافهم ذلك * ومن
شأنه أن لا يكون محبا لأن ينفرد بالصيت لأن فيه آفات لا تحصى وأقل ما فيه أنه يصير يكره كل من ارتفع شأنه
عليه من أقرانه وإن أطاع الله وزهد في الدنيا وتورع واتقى لأنه يطفي ذكره إذا أراد علمه من ذلك فيحب نقصه
من الخير حتى لا يتميز عليه هذا من لازمه لا ينفك عنه فيصير هو وإبليس إخوانا على أني اجتمعت بإبليس في
عالم الخيال وذاكرته فقال إبليس أنا أغار على نقص الطاعات لأن الرحمة سبقت الغضب ولأن من كمال الله تعالى
وجود الطاعات والمعاصي في ملكه الاسم المنتقم ونحوه يطلب الانتقام من أهل حضرته وليس ذلك إلا من
العصاة كذلك الاسم الرحيم مثلا يطلب الرحمة من أهل حضرته وليس ذلك إلا للمطيعين فلم ينقص الوجود ولا

يخلو

يخلو طرفة عين من طاعة ومعصية فكل اسم يطلب وقوع أثره من أهل حضرته وخطاب الحق سبحانه وتعالى
بالاوامر والنواهى يعم المؤمن والكافر والطائع والعاصي والارواح والروحانيين فاذا علم الاسم الرحيم مثلا انه
قد انتهت مدة الانتقام ممن استحقه أخذه ليجرى عليه حكمه من الرحمة واللطف فالخلق كلهم مخاطبون بالامر
فمن أجاب سمى مطيعا ومن أبى سمى عاصيا شقيا فاباية العبد عن اجابة الأمر ليس من حيث نفسه وحقيقته لانه
مقهور دائما تحت الاسم الذى قهره والا فكيف يمكن العبد الضعيف أن يتخلف عن اجابة الأمر الالهى
فالتنازع بين الاسماء واقع لانهم الاكفاء بين العبد والاسم الداعى الى حضرته ومؤاخذة العبد بالاباية بادعائها
لنفسه وعدم اضافتها الى الاسم الالهى الذى هو تحت قهره فالعبد لم يزل بين الاسماء أسيرا يتركه اسم فيستقبله
آخر هكذا شأنه اهـ كلام ابليس فانظر هذا اللعين ما أشد معرفته بحضرات الاسماء وما يقابلها فافهم ذلك
وماذا يضر العبد ان لو كان الناس كلهم مسلكين عارفين لان فى ذلك شرفا لنبيه صلى الله عليه وسلم اذ من
خصائص أمته أن يكون فيهم الاقطاب والابدال والاوتاد وغيرهم فلزم هذا المسلكين الكراهة لأهل التقوى
لله تعالى ولو صدق فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحب كثرة المشايخ والمسلكين لان ذلك مما يسره صلى
الله عليه وسلم فافهم ذلك ومن شأنه أن يحفظ لسانه فى حق أقرانه وهذه الخصلة مصيبة لا يخلص منها الا القليل
من الفقراء فانه ان لم يصرح بتنقيصه عرض به وكلاهما على حد سواء لانه يخاف أن يصرح بغيبته فيزدريه
من يسمعه من تلامذته وغيرهم واعلم انه لا بأس بتبيين بعض عيوب أهل الدعاوى ليتزجر من يريد أن يتبع
طريقهم كغالب تلامذة هذا الزمان لغلبة الهلاك فيمن ينسب الى الطريق مع أن أهل الطريق كلهم يلعنونه
لتصنعه وتزويقه لعمامته وعذبته واعتدال رشقها فى العمامة والنظر اليها قبل أن يلبسها ويخرج الى الناس
وغير ذلك من الأمور التى لا تخفى على آحاد المؤمنين فكيف يطلب أن يجوز على الله تعالى اما بان ذكر أحدا
من الفقراء بسوء بحضرة من لا يريد اللحوق بهم ولا هو طالب أن يكون شخصا من العوام المعتقدين فهو حرام
شديد التحريم واحذر أن تفتح باب الذم للتلامذة تفتكها فى عرض أحد من أقرانك فى حجة النصح والتحذير اذا
علم العبد ذلك فليحذر من قوله فى حق أحد من أقرانه فلان لم يقع له شئ من التجليات والمقامات التى هى علامات
السير فى الطريق عند القوم ولو رأيناه ذاق شيأ ما وسعنا من الله تعالى ان ننقصه لكن الحق أحق أن يتبع
فيكثر الغيبة فى أخيه بهذا الكلام وهذه الدسائس قل أن تجد اثنين من الفقراء بينهما صفاء ومودة وربما
يدعى أحدهم الى وليمة عرس فيبلغه ان أخاه هناك فيمتنع ويكره أن يجتمع معه ولهذا لا يزال الخلق فى بلاء بسببهم
ولولا البهائم لم يمطروا لحديث عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم يا عائشة
اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فليحذر أرباب الدعاوى من الخروج مع الناس فى الاستسقاء ونحوه
فربما توقف الاجابة لكونهم حضروا وما فى بواطنهم من الدعوى وهى منازعته لله تعالى لاسيما ظنهم ان الخلق
انما سقوا بسببهم وانهم أقرب الى الله تعالى من جميع من حضر ولذلك يتقدمون للدعاء أمام الناس فلا يدعى
لطلب الحوائج الا المنكرة قلوبهم اما هؤلاء فقلب الواحد منهم أغلظ من الحجارة لاسيما ان أرسل اليه السلطان
بخصوصه ليستسقى فافهم واعلم أن الكشف المحسوس اذا كان لا يجوز الوقوف معه فكيف برؤية المنامات
التى يرى التمييز بها على أقرانه وليحذر من استحلاء قول الناس فلان انتفع على يد فلان وانتقل وله كذا وكذا سنة
عند الشيخ الفلانى لم يتحول عن حالته ولم ير شيأ من التجليات فان ذلك سم قاتل فكيف بالشيخ لو ذكر ذلك عن
تلميذه وصرح به نسأل الله تعالى العافية لمؤلفه * ومن شأنه أن يتنبه لما يحصل بسبب الاذن له فى التلقين فى شيخه
أو غيره من ترك النصح من اخوانه وتلامذته لانه حين يصرح لهم بان الاذن جاءه بذلك وان له أن يربى المريدين
والسالكين لا يجرأ أحد منهم ان ينصحه لاسيما ان كان له ناموس قائم فى قلوب المعتقدين بالاطراق والعذبة
ووضع رأسه فى طوقه وغير ذلك من الخصال سواء كان محقا أو مبطلا فيها اذا علمت ذلك فينبغى للشيخ أن يحثهم
على النصح له ويشدد عليهم فى ذلك وقد أراد السيد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يمتحن أصحابه فقال
ما تفعلون بى اذا أنا اعوججت عن طريق الحق فقالوا نضرب هامتك بالسيف ففرح بهم وقال هكذا كونوا

فليحذر الشيخ القاصر من قوله لتلامذته ان لم يكن التلميذ يحمل جميع أفعال شيخه التي ظاهرها الفساد على
موافقة الشرع و يؤولها على أحسن الوجوه لايجيء منه شيء وهذا انما يباح لكمل الأولياء من ورثة الانبياء
عليهم السلام وأما القاصر عن درجتهم فكيف يسد على نفسه باب النصح من اخوانه وهو محتاج الى التطهير
من الدسائس والأوصاف المعيبة وان وقع ذلك الكلام عن الكمل من المتقدمين رضي الله تعالى عنهم فذلك
مصلحة للتلامذة لعلمهم بأنهم على بينة من ربهم و يتلوه شاهد منهم في كل حال سلكوها من المشي على قدم
مورثهم فيوافق أمرهم التلامذة بحملهم على الشرع حالهم التي هم عليها وأما من ليس له هذا القدم كيف يأمر
التلامذة بأن يحملوا جميع أفعاله على الشرع و يمنع نفسه الخير والنصيحة وأين هذا الحال من حال الأولياء
العارفين المهتمين في جميع أحوالهم بالنفاق وأفعالهم بالرياء رضي الله عنهم أجمعين وكان أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله من هداني الى عيوبي وكان رضي الله عنه يمضي الى بيت حذيفة بن اليمان
و يقول له ياحذيفة أنت كنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تعرف المنافقين وتعهدهم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر مافيّ من النفاق فعرفني به فيقول والله يا أمير المؤمنين لا أعلم فيك نفاقا
فيقول انظر وحقق النظر فيبكي حذيفة و يبكي عمر رضي الله عنهما فلا يزالان يبكيان حتى يغشى عليهما أما
حذيفة رضي الله عنه فمن سماع الكلام من السيد عمر وأما عمر رضي الله عنه فخوفا ان يكون فيه نفاق لا يشعر به
فانظر اتهامه رضي الله عنه لنفسه بالنفاق مع علمه أنه مقطوع له بالخير والرضا من الله تعالى والشهادة بأنه من
أهل الجنة بقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية وهو من أهل البيعة بلاشك فاذا كان هذا حال السيد
عمر رضي الله عنه فكيف بحالنا نسأل الله تعالى العافية وقال القطب الرباني سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه
من لم يتهم خواطره دائما لايثبت في ديوان الرجال وبالله التوفيق * ومن شأنه أن لايستنكر على من ناداه
باسمه من غير لفظ سيادة أو مشيخة لانه كلام صحيح ليس فيه كذب بخلاف لفظ السيادة والمشيخة فقد لا يكون
سيدا ولا شيخا عند الله تعالى فيقع القائل له ذلك في الكذب هذا الذي ينبغي للشيخ أن يظنه بنفسه دائما فيحمل
من لم يعظمه على ذلك وأما التلميذ فهو مأمور بالأدب معه فلا يناديه باسمه فقط من غير لفظ سيادة أو مشيخة
ونحوها ولا بألقابه المذمومة وان كانت حقا فافهم ذلك * ومن شأنه اذا لم يطرقه بكاء ولا خشية أن لايذكر مافيه
انتصار لنفسه كقوله البكاء والرقة انما يكونان للناقصين وأما الكاملون فلا يتأثرون بسماع كلام ولا تؤثر فيهم
الأحوال و يستدل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين رأى شخصا يبكي عند سماع القرآن هكذا كنا
حتى قست قلوبنا و بقول الجنيد رضي الله عنه لما تحرك الجماعة للسماع ولم يتحرك فكلموه في ذلك فقال وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وغير ذلك من الحكايات لانه أولا ليس على قدم من يحكى عنهم هذه
الحكايات و بتقدير ذلك فهل كان معهم في جميع أحوالهم ومن تأمل وجد الغالب على العارفين دائما البكاء
والخوف حتى كان السيد أبو بكر رضي الله عنه يقول ليتني كنت طائرا أو تبنة وقال السيد عمر رضي الله عنه
ياليت أمي لم تلدني وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها ياليتني كنت نسيا منسيا قال الفضيل بن عياض رضي الله
عنه لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا أليس هؤلاء يشاهدون أهوال الآخرة انما أغبط من لم يخلق وغير ذلك
من أحوالهم المشهورة وقد بات شخص تحت غرفة للسيد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فنزل عليه ماء ولم
يعرف سببه والسماء مصحية ليس فيها سحاب فصعد سطح الغرفة فوجد السيد عمر ساجدا ودموعه تجري حتى
جرت في الميزاب ونزلت على الأرض فهل كان هذا ناقصا وكنت أنت كاملا فافهم والادب خير كبير واحذر من
أن تذكر الأولياء الذين مضوا بسوء لما تنظر في كلامهم من التلوين كسيدي عمر بن الفارض وسيدي محيي
الدين وغيرهم فانهم قدموا الى ماقدموا وتلك أمة قد خلت على أن القائل ان سيدي ونحوه من أرباب التلوين
لم يذق طعم التلوين الذي ينقص مقامه به فكيف بالتمكين فغالب من يقول ذلك انما يقوله بالتقليد لما يجده في
كتب فقهاء الصوفية كرسالة القشيري ونحوها من ان التلوين للناقصين وهو لم يفهم مرادهم فان مرادهم به
التلوين بلا تمكين فيه والكامل عندهم من تمكن في التلوين ولولا أن المراد هذا لما كان الله سبحانه وتعالى كل

يوم هو فى شان فالكامل من الرجال من يعلم ما يتقلب فيه فى كل نفس ومن لم يقف من نفسه ولا من غيره على اختلاف آثار الحق فيه فى كل نفس فلا معرفة له بالله لانه جاهل به وبنفسه وبالعالم فافهم والزم الأدب مع الاولياء رضى الله عنهم فان اعتراضك دليل على عدم ذوقك وليس يترتب عليه ثمرة لأن الذين مضوا الى الآخرة ليسوا من أهل الاخذ عنهم حتى يحمل كلامك على أنك تبين مراتبهم لمن يريد السلوك وأى فائدة لقولك الآن فلان كان ناقصا اذا علمت ذلك فترك البكاء نقص وقسوة قلب منك وقد قال الله تعالى ٢ رسوله من كان هذا حاله وما نقل عن السلف من ضد ذلك انما كان فى أوقات نادرة ولكن الضعيف لما ينظر نفسه يستدل بحكاية مناسبة له ولحاله وقعت من شخص مرة فى عمره لانه ان حكى أحواله الغالبة أقام الحجة على نفسه فافهم ذلك * ومن شأنه أن لا يعتمد على عمل صالح فكيف بما دخلته النفس وقد سمعت يهوديا يقول لآخر لا تظن بنفسك الخير أبدا ولا تدعها تألف شيأ من أحوالها لانه لا يتقرب الى الرب بشئ دخلته النفس اه فاذا كان اليهود يتناهون عن مثل ذلك فكيف حالنا نسأل الله تعالى العافية واعلم ان نصح الاخوان من المشايخ لبعضهم بعضا قل فى هذا الزمان فلا أحد ينصح أحدا مع اطلاعه على ما فى قلبه من الدسائس وربما وقع لبعض القاصرين الخوف من انه لو نصحه فتح عليه الآخر باب النصح فيخرجان من المشيخة بزعمهما فكل واحد يخاف أن يظن تلامذته به انه لولا نقصه ما نصحه الآخر وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم ينصحون بعضهم ويراسلون بعضهم بالحط على أحدهم والتوبيخ لهم ويفرحون بذلك اذا علمت ذلك فاحذر من ترك النصح لأحد ولو انخرق ناموسك عند جميع من يعتقدك وذمك الخلق على ذلك واعلم بأنه ينبغى لك أن تعتقد فى نفسك انك ما أنت فقير الا عند العوام وليس لك عند الفقراء الصادقين قدم وخير الناس من هو مستور رجعوا اسمه من ديوان المتمشيخين لما لا يخفى أن الفقر نور ما دام الفقير يستره واحذر اذا اجتمعت بزيارة أحد من اخوانك القاصرين أن تذكر له واقعة وقعت لك أو مناما أو كشفا أو تظهر فضلك عليه فانك تكدر عليه حاله بل اسأله الدعاء وسارقه بالنصح بما فيه بالتعريض والتلطف كهيئة المتعلم منه والمستفيد واحذر من أن يظهر له منك طلب التمشيخ عليه فان نفسه تقوم ولا ينتفع بكلامك لاسيما ان استشعر من تلامذته انهم لحقوا بذلك واحذر من قولك فى حق من نصحك ان فلانا نصحنا بشئ وهو معذور لأنه يظن ان الفقراء محتاجون الى مثل ما نصح به لانهم رضى الله عنهم صفاهم الحق من كدورات البشرية انما يحتاج الى ما نصح به الفقهاء والعوام بل من الفقراء من لا يعرف ابليس وجنوده فان فى هذا ايهاما للخلق بانك خال مما نصحك لأجله ونسب اليك مع نصرتك نفسك بادخالك لها مع الفقراء الذين مدحتهم فافهم ذلك ولا تحجب عن نفسك بشئ ولو كنت خاليا مما نصحت لأجله واحذر من أن تقوم نفسك منه وتصنف رسالة فى الرد على كلامه تجمع فيها من كلام بعض القاصرين فان ذلك انتصار للنفس ووبال ذلك يرجع عليك بغشك لنفسك فافهم واحذر من أن تنسب الناصح لك من أقرانك الى أن سبب نصحه من الغيرة الذى لم يجتمع الناس عليه كاجتماعهم عليك ويأخذوا عنه كما أخذوا عنك فهذا اسد هذا الباب عليه وليس من قدره أن يجمع قلوب الخلق عليه لا لعلة واحذر من قولك الأمر ما هو بيدى وان كان ذلك حقا أريد به باطل واحذر من قولك أيضا الحق سبحانه وتعالى اذا أقام عبدا لنفع الخلق حببهم فيه على رغم أنفهم فان النفس تستحلى ذلك وهو سم قاتل مع ما فيه من تزكية النفس بجعلك نفسك من الذين أقيموا لنفع الخلق والعباد وارشادهم وانك نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تأملت ونظرت بعين البصيرة وجدت الطباخ أو بياع الفول الحار أو الزيت الحار أو الحراث أو الحصاد أنفع منك ولا يشك فى ذلك الا الأعمى ومن تأمل نفع الرغيف أو الطبيخ أو الزربون اذا كان جائعا أو حافيا ونفع كلامه الذى يلقيه لمن يجلس عنده عرف صدق ما أقول لان بهذا الحرف قيام الوجود فاصحاب الحرف على خير كثير ونفع تام ومن تمام ذلك بهم احتقارهم نفوسهم واحتمالهم قول الفقيه لهم يا جهلة يا حمير بل يصيرون خائفين أن يقعوا معه فى واقع واعلم أنه لو كان الشيخ يصير شيخا بكثرة المريدين حوله لكان المشعوثون أولى بالمشيخة فقد عد بعض أصحابنا حلقة مشعوث فوجدها تزيد على ثلثمائة نفس لا يقدر شيخ يجمعهم فى وردة الا فى وليمة وكل هذا غرور فافهم واحذر من أن تنسب نفسك الى أن فلانا انتفع بك فان فى ذلك هلا كثوان لم

تكن ترى نسبة جميع الخلق الذين حولك كما ينسب البلد أهل السوق أو جماعة شيخ آخر فأنت مغرور مفتون
لانك ترى لك نسبة فى هداية الخلق وان كانت الآلة والواسطة لابد منها لكن هذه أحوال يغيب معها عقل
الرجل ورشده فافهم * ومن شأنه أن لا يقتصر على لبس الزى والهيئة وارخاء العذبة وحضور الولائم وتقول له نفسه
من حين حصل لك الاعتقاد والتلامذة أنت بخير كبير وكلما كثر أتباعه ومعتقدوه واغتر وحمد الله
وكلما قلوا انقبض واغتم وسخط فى الباطن على الله بل لا ينبغى الالتفات لهذه الامور بوجه من الوجوه
فشأن الفقير دوام الاقبال على الله تعالى باطنا وظاهرا بانواع القربات والعبادات فهو فى غفلة من
أحواله الظاهرة وهذا أهل حضرة السلطان ليس لهم نظر فى حال مجالسته الى ظاهرهم ولا اصلاح
عمامتهم ولا وسخ ثيابهم ولا الى سجادة يجلسون عليها ولا غير ذلك من أحوال الغافلين عنه واعلم أنه ليس من
الغفلة اشتغال العبد فى حقوق أهله لان الله تعالى قد عين لهم حقا عليه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى فوالله فى ذلك الموطن ليس لنفسه ولا لشئ من خلقه وسامحه الحق فى رجوعه
الى أهله من هذا المقام لكونه ما رجعه الا الله الذى افترضه عليه وتأمل قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا تعرف أنه لا يحشر اليه الا من ليس عنده والسلام * ومن شأنه أن يكون عنده شفقة على من يجتمع
عليه ولا يتسبب لهم فى الوقوع فيما يغير عليهم قلوبهم فليحذر من أخذ التلامذة معه الولائم بغير طلب صادق من
أصحابها فان ذلك من أشد الضرر عليهم لضعفهم عن تحمل أوساخ الناس وقد كان سيدى الشيخ ابراهيم المتبولى
رضى الله عنه يقول لتلامذته لما يريدوا أن يمضوا معه الى وليمة ان كانوا طائعين له ارجعوا فانى عازم على أكل
السم فهل تأكلون معى فيرجعوا فيقول لهم أنا بحر لا يؤثر فى السم يا أولادى لاسيما والتلامذة يأكلون طعام
الناس من الشبهات بشهوة نفس ويقولون لبعضهم هذه الايام مع سيدى الشيخ تعد من الأعمار ويعتبون على
من فاته الحضور لاجل حرفته التى يعود عليه وعلى عياله نفع منها ولو كان شيخهم لا يدعوه أحد الى وليمة ولا يلتفت
اليه باحروه ومتقشف يلبس الجبة الخشنة والفروة الغليظة ويأكلون معه خبز الشعير أو الذرة اليابس بملح أو حاف
كما كان صلى الله عليه وسلم يأكله لما عدوا هذه الأيام من العمر ورأوها كلها بلاء وربما فارقوه ونفروا عنه
فافهم واحذر والله غالب على أمره * ومن شأنه أن يكتم مساوى أقرانه ويظهر محاسنهم والثناء عليهم وينشر ذكرهم
بلا علة تحمله على ذلك من قصد المكافآت ونحوها فقد ينشر الشخص ذكر أخيه ويثنى عليه بقصد أن ينشر
الآخر ذكره ويثنى عليه وقد يثنى عليه حتى يدفع عنه نسبته الى الغيرة وينسب الى وسع الخلق لاسيما ان كان المثنى
عليه يحط على المثنى فان ذلك مما يزيد فيه اعتقاد الخلق خاصتهم وعامتهم فيه فينبغى له أن يظهر العجز وعدم
احتمال الأذى فى بعض الأوقات سترا لحاله فانه عورة ولكل حال مقال اذا علمت ذلك فيجب أن يؤول أحوال
اقرانه الناقصة ما أمكن فى غيبتهم وليصرح لهم بذكرها بحضرتهم ولا عليه من تغيرهم من النصح لانه نفعهم من
حيث لا يشعرون وأقل ما فى ذلك تحقيرهم لنفوسهم ساعة نصحه لهم * ومن شأنه أن يحذر أن يتدارك دعوى تقع
منه بذكر أمور توهم السامعين تبرئته من الدعوى مع أنه صار قلبه قدر الصندوق من الفرح لما رآهم صدقوه فى
دعواه وزادوا فيه اعتقادا * واعلم أنه يلزم من ازدراء شخص أو احتقاره الوقيعة فى جميع أصحابه ومحبيه لان
الارواح جنود مجندة فالممقوت لا يجتمع الا بالممقوت والمحبوب لا يجتمع الا بالمحبوب فلا يجتمع اثنان قط على
صحبة الا وبينهما غابطة المشاكلة فى الباطن فافهم واحذر من أن تظن بمن نهاك عن خلطة من لا يصلح من
الممقوتين أنه يرى نفسه خيرا ممن نهاك عنه لان ذلك لا يلزم لأمور يدركها الفقراء ذوقا وليحذر أيضا من مدح تلميذه
ما أمكن لأن ذلك ضرر على التلميذ وعليه لان مدح تلميذه مدح له فليكف قوله فلان رأى نجوما فى الخلوة أو أقمارا
أو نحو ذلك مما هو آثار الجوع فانهم يقولون فى المثل جعت حتى رأيت النجوم ولو كان مليقوله التلميذ حقا لحجبها
ما استتر عنه ما رآه فى خلوته لما يخرج منها وأين الرطب المعمول من الجنى واعلم ان الكمل من الأولياء رضى الله
عنهم لا يحسون بشئ من هذه الأحوال ولا ينسبونها اليهم بوجه ولذلك كانت تلامذتهم يخبرونهم بخوارق
وعلوم وأحوال اكتسبوها مدة صحبتهم فيتبرؤن منها لانهم كانوا يدعون الخلق الى الله محض عبودية فلذلك كانوا

لا يعلمون من يجيب دعوتهم من غيره يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب
وصدقوا فهكذا هو الأمر واعلم ان الطريق موحشة كثيرة العطب دسائسها لا تحصى لا ينجو منها الا القليل
ولذلك قال القطب الرباني أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه الهالك من ينسب نفسه الى طائفة القوم أكثر من
الناجي لاسيما من اشتهر بالصلاح وأقبل الخلق عليه بالاعتقاد والثناء وقد كان سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي
الله عنه يقول لتلامذته كونوا أعمادا سا ولا تكونوا رأسا فان الضربة أول ما تقع في الرأس فكم طيرت طقطقة
النعال حول الرجال من رأس وأذهبت من دين نسأل الله العافية لنا وللمسلمين فافهم فهمنا الله واياك عنه كل
خير ومن شأنه اذا جلس لارشاد الخلق باذن خاص في منامه من النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يرى له بذلك مزية
وتخصيصا على من لم يحصل له ذلك من أقرانه وغيرهم فهو مساو لمن لم يحصل له ذلك بل ربما كان ذلك يجره الى
المكر والاستدراج وجميع الخلق مأمورون بنصح الخلق في اليقظة بنص القرآن والسنة وما ثبت في اليقظة
أصح مما ثبت في النوم لعدم ضبط النائم على أن العارفين من المحققين اتفقوا على أن الاذن الخاص من النبي صلى
الله عليه وسلم لا يكون الا للقطب الحاوي الوراثة المحمدية وأما غيره فاذنه راجع الى أرباب النوبة وغيرهم من
أصحاب التصريف فمن ادعى الاذن الخاص فكأنه ادعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع ولو أنه فقيه محجوب
لمقته الأولياء لكن حكمه عندهم حكم الشخص المشهور بالجنون كمن يتشبه باكابر الدولة في الخيال ليضحك
الناس أو كالفقير المجذوب أو المهبول اذا قال أنا السلطان أو غيرهما ممن هو بعيد من حضرة الملك بخلاف ما اذا
ادعى أحد من أهل حضرته ذلك محقا كان أو مبطلا فانه يقام عليه السياسة ويؤمر به الى دار الهوان والعقوبة
فاحذر ذلك فانه يجر الى العطب وان وقع لك هذا الاذن في النوم في رؤية صحيحة جامعة للشرائط فلا تذكره
لاحد فان ذلك من الضعف وقلة التثبت فان أمرت في النوم بذكر ذلك للخلق فاذكره امتثالا للامر لا لعلة
أخرى فافهم والنصح بلا قصد ودعوى أقل آفات ولو لم يكن الا أن ذلك يجر الى أكل الدنيا بالدين من الأكل من
الولائم وغيرها وتوجه الخلق اليه بأوساخهم من الزكوات وغيرها وكل ذلك لاعتقادهم فيه الولاية فان اشتروا له
ثوبا سامحونه فيه وان رأوه محتاجا الى شئ بادروا بتحصيله له فكلفهم وشق عليهم ولو طلب منهم يتيم أو مسكين
عاجز ثوبا أو درهما لا يعطونه شيأ ويمكن أن يخرج الشخص الى سوق من الاسواق فيأمر وينهى ألف نفس
ويصير شيخهم بذلك من حيث لا يشعرون فان كل من علمك مالم تكن تعلم فهو شيخك شئت أم أبيت فمن نصح
وأرشد هكذا من غير قصد مع قيامه في أسبابه وحرفته فهو على خير عظيم وأجره موفر ان شاء الله تعالى وقد تقدم
أن كل عبادة نشأت من لقمة فهي لصاحب تلك اللقمة فافهم ولا تجادل في ذلك فان وباله يرجع عليك كما
شاهدنا ذلك في قبولنا والسلام * ومن شأنه أن يتثبت في ما يحكيه عن نفسه من الوقائع والاحوال وان كان ذلك
من النقص حيث لم يترتب عليه مصلحة دينية اذا علمت ذلك فاحذر من قولك لي انما جلست لارشاد الخلق
بخاطر من قبل الحق لان ذلك لا يصح لاجماع المحققين من العارفين على أن خاطر الحق لا يكون فيه أمر ولا نهي
اذ قد فرغ سبحانه وتعالى من الاوامر والنواهي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله اليوم أكملت لكم
دينكم وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم ما تركت شيأ يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا شيأ يبعدكم عن
الله تعالى الا وقد نهيتكم عنه الحديث فلا ينزل ملك الخاطر بوحي حكم شرط على غير شئ أصلا ولا بأمر الهي جملة
واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبينت مراتبها فان قال أمرني الله تعالى من غير واسطة قلنا هذا أعظم من
ادعائك الاول لانك ادعيت ان الله كلمك كما كلم موسى ولا قائل به ثم انه لو كلمك ما كان يلقي اليك الا علوما
واخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك أصلا فنعلم أن الاوامر والنواهي أغلق بابها فمن ادعاها بعد محمد صلى الله
عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فعلم أن كل أمر أو نهي فهو من باطن
الشريعة ليس لاحد من خارجها ما يأمر منه وينهى لان جميع الخلق تابعون ليس لهم شئ الا من باطن
متبوعهم صلى الله عليه وسلم وقد وقع هذا الغلط لشخص من اخواننا فجاء لشيخنا رضي الله عنه فحكى له ذلك
فقال يا ولدي هذا حظ نفس وسبب ذلك انك لما توجه باطنك الى طلب المشيخة بالرياضة والخلوة والذكر صرت

تترقب قوة الخاطر الداعي الى ذلك فلما قوي عليك هذا التوجه واستولى على قلبك حكمت عليك نفسك فظننت انه خاطر من قبل الحق لا تقدر تتخلف عنه وعن امتثاله وانما ذلك من قبل النفس الطالبة لصفة الالوهية على الخلق فما استطعت ردها عن هذا الخاطر لضعفك ولانك مترقب لقوته سنين فلما محت قوته من أول وهلة شددت به يديك فسكت الشخص المذكور وقال أستغفر الله تعالى وأتوب اليه ورجع عن هذا الباب بعد أن كان لقن الناس الذكر واجتمعوا عليه فتبرأ منهم وفرقهم عنه فلو كان كل من وقع له هذا الخاطر يعرضه على عارف بالله تعالى لكان يبين له خاطر النفس وخاطر الحق فيكون على بينة من أمره من ترك هذا الباب أو الاقدام عليه و يكون ممن يتلوه شاهد منه ولا يبالي بتفرقة من كان يجتمع عليه و يعتقده لاجل اشاعة الاذن المذكور عنه و يصير ممن لم يكن زين له سوء عمله فرآه حسنا فاذا تقرر ذلك ولم يعرض الخاطر المذكور على عارف بالله تعالى ولم تظن أنه خاطر نفس فاجعله خاطر ملك لا خاطر الحق وقد وقع ذلك لسيدي الشيخ يوسف العجمي رضي الله عنه ولم يقبله الا بشاهد منه وهو انه خطر له مرة أولى وثانية وثالثة أن ارحل الى أرض مصر وأرشد الناس فقال اللهم ان كان هذا خاطر حق فاقلب لي هذا النهر لبنا خالصا في هذا الوقت حتى أغرف منه بقصعتي هذه وأشرب فانقلب النهر لوقته لبنا خالصا وشرب منه ثم انه شرع في التوجه الى بلاد مصر فانظر عفا الله عنك الى ثانيه وعدم مبادرته في مشيخته والتصدر لها واعترافه بعجزه عن معرفة كون هذا الخاطر حقا أو باطلا لاتهامه لنفسه في كل ما تطلبه منه رضي الله عنه وأما اذا سمع الاذن بخطاب له فهو هاتف اما ملك أو جني أو ابليس لان له اغواء العارفين بارادة الله تعالى وقول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي الآن أردت ذلك بهم لانه تعالى لا يصح التقييد عليه بشيء يفعله لسعة الاطلاق فيمحو الله ما يشاء ويثبت وكل يوم هو في شأن وليس المراد باليوم اليوم المعهود لانه تعالى لا يمضي عليه زمان فافهم ولا يخفى أن هذا التأويل في حق غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام أما الانبياء فانهم معصومون منه البتة واعلم أن من تأمل ياء النسبة في قوله عبادي قعد عن الدعوى وخاف من تسلط ابليس عليه لان العبد الخالص من رق الاغيار أعز من الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى ومن نظر بعين البصيرة وجد نفسه مسترقة لما لا يحصى من الاكوان أفرأيت من اتخذ الهه هواه والمراد بالهوى ارادة العبد اذا خالفت الميزان الشرعي الذي وضعه الله ولا يتخلص من ذلك الا كمل الاولياء من ورثة الانبياء عليهم السلام وأما غيرهم فأهويتهم شتى فواحد هواه غذيته و واحد هواه تركها ايهاما للخلق انه يكره الشهرة فهو في حظ نفسه لم يبرح وواحد هواه جبته البيضاء النقية و واحد هواه تركها ولبس الجبة الدنسة وواحد هواه الجلوس على السجادة في حلقة حزبه وورده ويشق عليه تركها وواحد هواه تركها وواحد هواه اهراق الرأس والعزلة ويشق عليه تركهما وواحد هواه تركهما وواحد هواه أن لا يخرج من بيته الى الزاوية وغيرها الا في أوقات مخصوصة خوفا من سقوط حرمته من قلوب الناس لما شهد واذلك منهم حين كان يكاثرهم وحين ينقبض عنهم وشأن الفقير عدم المبالاة باقبال الخلق وادبارهم وواحد هواه حلقة الذكر في زاويته واجتماع الناس عنده والتواضع له واتخاذه صنما يتمسح به وواحد هواه ترك ذلك وواحد هواه اقامة المجاورين عنده لظنه انه يرزق بهم وانه يعطيه الناس الصدقات لاجلهم وأنه يكبر بهم في أعين الناس بخلاف من ليس عنده مجاورون فانه عندهم غير شيخ أو شيخ على الفتح لأن الزائر يجده جالسا وحده كالمطر بخلاف ما اذا كان عنده تلامذة ملازمين الأدب بالاطراق بين يديه والقيام بخدمته والمشي أمامه لما يركب أو يمضي في شفاعة أو وليمة و واحد هواه اطعام الطعام والدقة والسعتر و واحد هواه تقواه وورعه وزهده ونحو ذلك خوفا من ازدراء الناس له اذا فعل ضد ذلك لا حياء من الله تعالى و واحد هواه أن يرد ما يأتيه على يد الظلمة والمباشرين من البر و واحد هواه جميع هذه الخصال وزيادة عليها و واحد هواه التنزه عن جميع الخصال المذكورة كما مرت الاشارة اليه فعلم من تضاعيف هذا الكلام أن الهوى كما يكون في فعل الاشياء المذمومة كذلك يكون في تركها والعكس لان النفس من شأنها ان تنفر من الذم فاذا رأت شخصا من أقرانها ازدري بسبب اجتنبت ذلك السبب خوفا أن يزدروها مثله فالاجتناب حينئذ من هواها الا انه حينئذ ليس خوفا من الله تعالى وتفرح اذا سمعت الناس يقولون فلان لا يحب المشيخة

ويفر من طرقها وهو قادر على أن يركب بغلة ويمشي جماعة حوله أو يتردد الى الاكابر ويدخل فيهم لكنه أعقل من ذلك لا يتمتع كالجبل فافهم فلا يخلص من دسائس هذه الأمور الا الكامل من الرجال ومن تشبه بمن يحسن السباحة ولا يحسن السباحة ونزل البحر غرق وأهلك نفسه فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن لا يركن الى الاذن له بالسلوك والارشاد من شيخه أو غيره لان الاذن لم يتضمن له من الله تعالى حال اذنه له عدم المقت أو السلب حتى يطمئن الى الاذن ويركن اليه وبتقدير ان الاذن ضمن له ذلك لا يصح لأن الحق لا تقييد عليه فلا يقدر الاذن على الوفاء لما ضمن ومن فهم معنى قوله تعالى كل يوم هو في شأن وقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فهم الأمر على ما هو عليه واستراح من التكدر من منازعة الخلق له في صحة الاذن له وعدمه لانه يرى نفسه حينئذ في الزيادة والنقص ليلا ونهارا ففي حال نقصه يحتاج الى شيخ يكمله وفي حال زيادته يحتاج الى اذن جديد فالامر لا قرار له ليعتمد عليه ولا يكابر في هذا الا أعمى القلب وقد بلغني عن شخص من الفقراء أنه نوزع في الاذن له من شيخه فاثبته على يد قاض مالكي واستحكم فيه بقصد رفع الخلاف والنزاع ولعمري هذا مسكين لم يفهم من الأمر شيأ * ومن شأنه أن يكون يقظا فطنا لما يبرز منه فلا يعطي كل جليس الا ما يقبله استعداده في كل زمان فاذا علمت ذلك فلا ينبغي أن تعتني بفتح باب المشيخة والارشاد في هذا الزمان لان العارفين بالله تعالى كلهم أمسكوا عن هذا الباب من أزمان متعددة كسيدي الشيخ ابراهيم المتبولي وسيدي أبي العباس الغمري وسيدي محمد بن عنان وسيدي المنير رضي الله عنهم أجمعين وقد طلب جماعة سيدي محمد الغمري رضي الله عنه لما توفي من ولده سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه أن يتصدر لباب التسليك فأعرض عنهم فألحوا عليه مرارا فقال لهم أين طالب الله خالصا فما تجرأ أحد منهم أن يتقدم ورجعوا العلمهم بما دخل في نفوسهم من عدم الصدق وقد كانوا على طريق ليس أحد الآن من المشايخ يمشي عليها من صيام الدهر وقيام الليل ولبس الثياب الخشنة وكان من شأنهم فيما بينهم أن يهجر وابعضهم اذا تكلم بمباح مستوى الطرفين ويقولوا فعل المباح ليس من طريقنا انما طريقنا الاجتهاد ليلا ونهارا هذا ولم ير الشيخ أحدا منهم انه أهل للطريق وكذا وقع لسيدي أحمد بن الشيخ محمد ابن عنان الذي بشر به سيدي الشيخ ابراهيم المتبولي رضي الله عنه لما قيل له يا سيدي من يتولى خدمة الحجرة النبوية بعدك فقال شخص يقال له محمد بن عنان سيظهر من بلاد الشرقية هذا والأولياء انما تبشر بالأولياء فشهد له بالولاية قبل أن يوجد ومع هذا فأبى وحلف أنه طريق الله تعالى وسد عليه هذا الباب لعلمه بعدم جدوى الشهرة في هذا الزمان وكذلك فعل غيره رضي الله عنهم وذلك لكمالهم وأدبهم مع الله تعالى وشهودهم تصاريف الاقدار في الخلق فلا يريدون اكمال ما أراد الله تعالى نقصه لعلمهم بأنه سبحانه وتعالى أراد نقص الوجود كله لقوله أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها وغير ذلك من الآيات والاحاديث وقد طلب جماعة شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه من الفقير التلقين لهم بعد موت الشيخ فأبيت فألحوا على بقول الشيخ رحمه الله اني خليفته من بعده فشق على ذلك لما أعلم من نفسي فلقنت منهم جماعة فرأيت كاني أخيط النعال خياطة محكمة فلما أنهي النعل يتفسخ بنفسه كما كان أولا فعلمت الوجه من ذلك وان الأمر فرغ منه فرحم الله تعالى الشيخ فاما ان كان الغالب عليه سلامة الصدر أو كاشف على الزمان الآتي فيرجع هذا الأمر الى وراء فان الفقير لا يصلح ان يكون تلميذا وقد رأيت لوحا مكتوبا بين السماء والأرض من جملة ما فيه ان الله سبحانه وتعالى أراد نقص الوجود من كل شئ في سنة أربع وستين وستمائة فالمتصدي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره ان لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى لارادته اكمال ما أراد الله تعالى نقصه والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون لكنه معذور ان شاء الله تعالى لانه من أهل الحجب فلو كشف الله تعالى له عن حال الوجود الآن كما كشف للعارفين تمنى أن يدفن حيا وكان ترك هذا الباب ولذلك تراه يلقن الألف مثلا أو أكثر ولا ينتج منهم واحد كما هو مشاهد ولا ينفع الضرب في حديد بارد غير مرجو أن يحمى في المستقبل واعلم أنه ليس في هذا الذي خشينا عليه ترك للذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء بل المراد منه ان كل من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد انه ليس بأهل للمشيخة

والسلوك وان فى ذلك هلاكه واما التلامذة فيحصل لهم بالتلقين الخير لانهم طالبون الحق محتقرون نفوسهم فافهم ذلك * واعلم انه لا ينفعه قول الشيخ المذكور لمن يعظمه ويعتقده بلسانه دون قلبه لست بأهل لهذا الباب وهذه بلية نزلت بنا لان ذلك مما يزيد الخلق فيه تعظيما ويقولوا انظروا الى تواضع الشيخ مع كماله وجلالته كيف يحتقر نفسه * واعلم أنه لو كان صادقا فى هذه الدعوى سأل الله تعالى الاقالة وأكثر من التضرع والدعاء أن يعافيه من ذلك ولكان يأخذ خواطر الفقراء أن يدعوا له بالعافية فافهم هذه الدسائس * واعلم أن مثال من يفتح باب المشيخة الآن كالفقيه الذى فتح الكتاب قبيل غروب الشمس وقعد ينتظر الاطفال لمجيئوه فيعلمهم لاننا الآن فى دهليز القيامة وقد خرج كل شئ عن موضوعه وسد كل شئ الى غير أهله لقرب الساعة كما يشاهد ذلك من كشف الله تعالى عن بصيرته وانظر الى المركب اذا قربت من البر بعد السفر كيف تطلق حبالها وراجعها ويطوى قلعها وكذلك الحجاج اذا رجعوا من سفرهم وأشرفوا على أوطانهم ومحط رحالهم كيف تشتت جمع قطورهم وينحل جميع نظامهم فطالب المشيخة الآن كمن يريد أن يجمع شمل الحجاج ويقطر قطرهم حينئذ كما كانوا فى ابتداء سفرهم فيستخف الناس عقله ولا يساعده على ذلك أحد ولا يجيبه فهكذا حال من يتصدر للمشيخة فى هذا الزمان الفاتح لكل شر والخاتم لكل خير هذا والعامة صار وا يستخفون عن يفعل ذلك ويقولون فلان عمل شيخا فكان المشيخة صارت بالعمل والجعل وذلك لمشاهدتهم خموله وكسله وجهله بالحقيقة والشريعة فكل من أراد أن يعمل شيخا سهل عليه ذلك لانها صارت فى الغالب بالدعوى فصاروا يستخفون بالمشايخ وان كانوا أهلا للمشيخة فى نفس الأمر وذلك لارادة الله تعالى لهم عدم الكمال ففسدت الرابطة وهى الاعتقاد فصاروا لا ينتفعون بكلامهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله عاقبة الأمور واليه يرجع الأمر كله فعلم أنه ليس المانع من اكتساب درجة الولاية عدم صلاحية الشيخ لطريق السلوك والتربية انما هو لأمر يعلمه من علمه ولذلك دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام الخلق الى الله تعالى ولم يطعهم الا القليل من الناس مع عصمتهم وصدقهم فسقط ما يقوله بعضهم عن من لم ينتج أحد على يده ولا أثر كلامه فى قلب السامع لو كان كلام هذا الواعظ بصدق لأثر فى قلوب الخلق فافهم ذلك ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة لنا ولاخواننا ومعارفنا وجميع المسلمين فان الموت على درجة الاسلام من غير زيادة فى هذا الزمان نعمة كبيرة لا يعدلها نعمة ومن أسقط فقد عد من الكذابين المغرورين ورعا وجد أحواله لا تطابق أحوال المسلمين فضلا عن أحوال المؤمنين فضلا عن أحوال العارفين الذين يظن أنه منهم فافهم وتأمل ما بينته لك من الدسائس وطرق الاستدراج والمقت والطرد واسأل الله تعالى المعونة على العمل بذلك البيان واقبل هذا النصح من أخ ناصح فانك لا تجد أحدا الآن من مشايخك واخوانك يدلك على شئ من ذلك كما هو مشاهد وان لم تقبل فوباله يرجع عليك وقد نبهتك بذكر شئ من بعض شؤون الفقراء تنبيها على غيره * واعلم ان جميع ما ينصح به العبد اخوانه من الدسائس والعيوب يخطر على قلب الناصح ولولا ذلك ما نصح أحد أحدا بترك عيب لانه لم يخطر بباله فكيف ينصح بل هو لا يعرفه فجميع الخلق مشتركون فى العيوب لكن منهم من يدوم ذلك عليه ويكثر ومنهم من لا يدوم عليه ويقل ومنهم من أعطاه الله تعالى الميزان وهو الكتاب والسنة فوزن ما يخطر له ويقبله ان وافق أورده ان خالف ومن لم يعطه الله تعالى ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن لا يكثر الخوض فى معنى الآيات المتشابهة ومعنى الصفات والأسماء ومقطعات حروف المعجم وغير ذلك وهذا واقع كثيرا من فقراء هذا الزمان فطول نهارهم كلام ويظنون أنه أفضل من فعل الطاعات وهو خطأ منهم قال صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم فغالب من يخوض ذلك خوضه بالتقليد من غير ذوق فيطالع الفصوص ونحوها من كتب الشيخ محيى الدين رضى الله عنه ويخبطون بالفهم والفكر فيأتون ذلك من غير وجهه فيضلون ويضلون غيرهم ويتلفوا عقيدتهم وقد كان محيى الدين رضى الله عنه يقول نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن فى مقامنا لخوض غير العارفين فى مثل ذلك ضرر عليهم فى دينهم وعقائدهم فلا يليق ذلك الا بالعارف المتمكن ومن اشتغل بحفظ كلام الناس

ف

فى ذلك وجمع الحقائق ولسان المتكلمين فى الطريق والطرائق فى يعيش عمرا آخر حتى يفرغ من علم الفناء الى علم البقاء لان القوم كانوا محبين كل منهم يتكلم بلسان محبته وذوقه فهو كلام لا يحصى ولا يحصر لان هذا البحر غرق فيه خلق كثير ولا وصل أحد الى قعره ولا الى ساحله وقد قال القطب الربانى سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين فى علم التوحيد والتفسير لم يبلغوا الى عشر معشار معرفة كنه ادراك معنى معرفة حرف واحد من حروف القرآن أو معرفة كلمة واحدة من كلام الله تعالى وقال شيخنا الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ أفضل الدين رضى الله عنه فى تفسير سورة الفاتحة كيف يمكن التعبير عن شئ من الاكوان وهو يتغير ويتنوع فى حال تعبيرنا عنه أم كيف يصح التعبير عن شئ من كلام الله تعالى وفيه مجموع كل شئ أم كيف يحيط الحادث بالقديم فأحق ما أتصف به العالم العجز ومن عجز عن التعبير عن بعض شئ من الموجودات الحادثة كيف لا يعجز عن تعبيره عن القديم وعن نفسه فالعجز العجز العجز فافهم ومن شأنه أن لا يميل لقول الخلق فلان شيخ وذكرهم له مع جملة مشايخ عصره بل يرى انه لم يشم طريق الولاية وتقدير انه شيخ الآن فى عرف الناس فهو على خطر ولا يصدق اسم الشيخ الاعلى من جاوز الصراط والميزان وتطاير الصحف وخروج التوقيع له بالامان من المقت والغضب وما قيل هذه الاهوال والشدائد التى امام الخلق خبط فى ظلام لا عبرة به ويدل عليه الحديث الصحيح ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار الحديث ولذلك قال بعض العارفين رضى الله عنه لا أثق بالامان فى الآخرة أبد الآبدين لعلمى بان الحق لا يتقيد عليه فى شئ يمحوه أو يثبته وهذا هو الأدب ويدل عليه خوف الانبياء والملائكة مع عصمتهم وحال جبريل وميكائيل لما طفقا يبكيان حين وقع لابليس ما وقع وقول الحق لهما هكذا كونا ولا تأمنا مكرى وأما قوله تعالى وما هم منها بمخرجين وان كان لا يقبل التغيير لقدمه فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين ﴿فصل﴾ اعلم اننا انما أطلنا الكلام فى هذا الباب بارادة الله تعالى لعلمنا بان جميع الدعاوى الفاضحة والدسائس القبيحة تطرق أهل هذه الطريقة وهى منابذة للعبودية من كل وجه ونحن انما وضعنا هذه الرسالة لآدابها الأنها هى العمدة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يعنى ظاهرا وباطنا فلم يجعل لهم فى الربوبية قدما فانه ليس بين الربوبية والعبودية جامع بوجه من الوجوه والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه والعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه وبقدر ما يخرج العبد من احداهما يدخل فى الأخرى فالعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه فاذا علمت ذلك فشأن العبودية الذل والعجز ورؤية التقصير فى جميع الاحوال وان جلت بخلاف الدعاوى برؤية اضداد هذه الأمور فانها تعد عن حدود الله تعالى والعبودية اعتداء والله لا يحب المعتدين ومن لا يحبه الله لا يصلح أن يكون دليلا عليه كابليس وان كان يعرف طريق الحق فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يتهم نفسه بالسوء دائما ولا يستحسن لها حالا ولا مقالا بل ولا يرى شيأ من ذلك ويتهمها بجميع ما ينسبونه اليها من خفى الفسق والفجور والرياء وحب الرياسة والمشيخة من أول وهلة فما دام لم يظن ذلك بها الا بعد تأمل وتفكر فهو محتاج الى العلاج وفيه بقية المنازعة والانتصار لنفسه من مدة التفكر * واعلم أن من يحسن ظنه بنفسه وبفعله لا ينتفع بموعظة أبدا مادامت هذه حاله لظنه انه سالم مما قيل فيه ووعظ لاجله ولذلك تراه يحيب عنها ما أمكن ويرى ان هذا النصح انما يصلح فى حق غيره من أقرانه لانه يراه بعين النقص ولو رأى نفسه كما رأى أقرانه لرأى صلاحية النصح لها فكان يتوب ويرجع لكنه لا يرى أن فيه نقصا لانه أعمى لا يبصر فافهم ذلك * ومن شأنه أنه كلما سمع كلاما محاقا فى حق غيره يأخذه فى حق نفسه ويتعظ به كانه هو المخاطب واذا بر زمنه وعظ لغيره يكون على سبيل الفرض والتقدير لان المحو والاثبات واقع فى كل طرفة عين وقال شيخنا رضى الله عنه فى لمحة تقع الصلحة ويجب على كل من ينصح غيره أن يكون مشاهدا حال نصحه أن الله تعالى آخذ بناصية المنصوح الى ما هو فيه وموجه اليه ليعطى الحقيقة حقها من الأدب لانه لم يخرج شئ من متحرك وساكن عن ارادته سبحانه وتعالى * وقد اعترضت مرة بالباطن على يهودى وقلت كيف ينشرح صدر هذا بالكفر بالله تعالى فما استتم هذا الخاطر الا

وقد ابتليت بما ابتلي به وصرت لا أقدر أن أسمع بالاسلام وأنا في بسط وانشراح لا يعلمه الا الله تعالى وكنت أجهد أن أوحد فلا أقدر وأقول لا يصح الامر الا بثلاثة من غير زيادة أو نقص فجهدت أن أزيد فلم أقدر وجهدت أن أنقص فلم أقدر وكنت بحمد الله أرد الى الصحو والاسلام في أوقات الصلاة حتى أفرغ أرجع الى الجنون ولم أتكلم الا في دين اليهود فكنت على دين اليهود من عصر الجمعة الى ثاني يوم الظهر فكشف الله عن قلبي الأمر عند وضوئي له فعلمت حين ذلك الاشارة في قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم وعلمت الحكمة في تفرقة الاديان وصرت أعترض على الكفار وغيرهم ولا يضرني هذا الأمر وقد وقع هذا الامر لبعض العارفين رضي الله عنه ومكث على الكفر سنين وكان لا يرد أوقات الصلاة ولا غيرها فشدد الامر عليه لعلو مقامه اذا علمت هذا فاعرف أولا من ناصية الكافر أو العاصي بيده ثم اعترض لا يضرك حينئذ لانك قد أتيت بالأدب مع الله تعالى وقمت بما كلفت به من الأمر بالمعروف فاذا علمت ذلك فنازع من خالف أمر الله وارتكب نهيه مع شهودك ان ناصيته بيد الله تعالى وانك وهو تحت القهر مشتركان لانكما محل لجريان الاقدار وما تستقبحه منه جائز أن ينتقل اليك وقد كنت قديما أظن أن الامر بالمعروف ينافي التسليم فسمعت هاتفا على لسان الحق تعالى يقول اذا شهدت الامر مني وحدي سلم ولا تنازعني واذا شهدته من غيري انكر عليه ما خالف أمري اه وهذا حال يقع للناقص في أوقات لا يتصور عقله دخول نسبة للخلق في فعل من الافعال وتقول الفقهاء هذا جبري وليس من الجبر في شئ انما هو انكشاف حقيقة برزت له لا يسعه غير ما يراه ولو أتوه بكل دليل وهذا أمر لا يدرك الا ذوقا ولكن الكامل يشهد الفعل لله تعالى محضا مع شهود نسبة الخلق في وقوع الفعل لا يحجبه هذا عن هذا اذا علمت ذلك فالزم الأدب واشهد في حال نهيك له أنه ربما يكون أحسن حالا منك وربما كان ارتكابه النهي سببا لترقيه الى الدرجات العلى لما فيه من تحقيره نفسه وعدم تصور الدعاوى منه لان العاصي لا دعوى له بمعصيته بخلاف المطيع وهذا لا يدرك الا ذوقا * واعلم أن الحق سبحانه وتعالى لا يجري على ألسنة عباده الا خيرا وصدقا فمن كان من أهل الحق أخذ نصحه عن الحق نورا على نور ومن كان من أهل النفس أخذ عن النفس ظلاما عن ظلام وكل اناء بالذي فيه ينضح فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون واذا علمت أن المحو والاثبات واقع في كل طرفة عين فلا يصح للناصح استصحاب لحال الناقص المخالف للسنة اذا شهده الناصح من أحد معين حتى يرسل اليه النصح بالنهي عما يشهده بفعله لانه ربما تحول قلبه عنه عقب رؤيتك له وتاب فاذا ذكرت نصحا فاذكره ارسالا من غير تنصيص على شخص معين ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولم يعين الفاعل لانه يشهد التحويل والتبديل كل طرفة عين كما ثبت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وكذلك أن تذكره أيضا على نية أن يسمعه من فيه شئ من الدسائس الخفية فيتنبه لها فيحصل لك التعاون على الخير وان لم يكن في السامع ما نصحت حصل لك وظيفة التحذير من الوقوع فيما نصحت لأجله والله غالب على أمره وافرح اذا نصحت أحدا من اخوانك ولم يصادف نصحك محلا بان كان المنصوح غير واقع في ذلك أكثر من فرحك برجوعه بواسطتك لانه حصل مقصودك وزيادة فترى دائما رجوع الخلق الى الله تعالى بلا واسطة كلامك أحب عندك من رجوعهم بواسطتك لما فيه من تحقيق السلامة من آفة رؤية النفس بالنصح فافهم واحذر من تغيرك على الناصح بسبب نصحه فانه بذل جهده ونصحك باعلى ما وصل اليه علمه فان كان فيك ما قال فتغيرك عليه حمق وان لم يكن فقد حذرك منه لانك معرض له ما دمت حيا ولانك ان كان عندك ذوق فأنت تعرف منزعه في النصح ضيقا وسعة فتقدره في الضيق وتشكر صنيعه في الوسع وذلك كاعتراض من لم يفهم مذاق القوم من العوام على من ذاق كالفقير فلا يصلح للفقير أن يقابله بالغلظة والأنفة ولا ينبغي له أن يأخذ نصحه الا عن الحق فالاشتغال برد كلام الناصح ولو بحق محض جهل وغرور ولان شرط الفقير أن لا يتغير على من يذمه بما ليس فيه فكيف يتغير على من ينصحه فافهم ذلك * واعلم ان المحل اذا كان قابلا للخير منهيا لاسبابه من كثرة الناصحين من اخوانه وغيرهم واذا حيل بينه وبين الخير ختم على أفواه الناصحين فلا ينطقون بشئ من النصح له لعدم قبول المحل لذلك فنصح الناصح قد يكون

بشارة لزوال الختم والطبع عن القلب وحق البشير ممن يبشره ويفرحه أن يخلع عليه من شدة الفرح وأن يكرمه غاية الاكرام فهذا جزاء من حذر من أكل السم بعد تناوله باليد وتقريبه من الفم فافهم ذلك * ومن شأنه ان يحب الذم فيه بنسبة صفات النقص اليه ويأخذ بقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا يسعه من الله تعالى أن يحب الثناء والمدح عليه بصفات الكمال لانه لا يليق الا بسيده فهو يحب أن يتميز بالنقص المطلق وان أحب الثناء لنفسه بالكمال فذلك على خلاف الاصل لشهوده ذلك حينئذ من الملك الحق وهذا أعز وجوده في الاولياء وقد اجتمع بعض العارفين رضي الله عنه بابليس فقال ابليس انى أحب أن ينسب الى جميع النقائص ولا أحب أن ينسب منها شئ الى الحق تعالى فاذا كان ابليس يحب الذم وقاية عن نسبته الى الله تعالى فالفقير أولى بذلك فافهم * ومن شأنه التسليم لله في جميع الامور ولا ينافيه الاعتراض على الخلق فيما فعلوه مخالفا للشرع فهو مسلم لله تعالى في جميع ما يفعله في خلقه راض به مشاهد ان ناصيتهم بيده منازع لخلقه فيما خالفوا فيه أمره ولذلك جاهدت الانبياء والرسل في الكفار مع علمهم عليهم الصلاة والسلام بان ما جاهدوهم لاجله بقضاء الله وقدره لانه خلقه ومع علمهم بان الكفار ما خرجوا عن الارادة السابقة فيهم اذ للرحمة حد لا تتعداه فالذى أمر بالرفق بالبهائم مثلا هو الذى أمر بذبحها فافهم ذلك واحذر من قولك لمن نصحك مالك ولهذا الباب سلم للقدرة واسترح وانصح نفسك فان هذا القول محض جهل وهو دليل على شقاوتك ولو قبل من الخلق الاحتجاج بالارادة لتساوت جميع الاديان ومن اعتقد التساوى كفر بالاجماع وانما نهيتك عن هذا لانه يقع كثيرا للمتصلحين ويظنون انهم على قدم عظيم وهو من تسويلات الشيطان وغالب وقوع ذلك ممن يتبع طريق القوم من غير اقتداء بشيخ حق له التقدم لهذا الباب فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

* خاتمة في بيان ما خرج من مقامات السالكين الساقطة بالعبودية *

اعلم أن جميع المقامات سقطت عند العبد الخلص فلذلك استراحوا من صلاح الاعمال وسيئها وما يشوب كمالها الان من سلك من باب العبودية من الذل والافلاس باطنا وظاهرا وعدم الحظوظ ورؤية التقصير في جميع أحواله لا يحتاج الى علاج شئ من ذلك لانه يرى أعلى أحواله نقصا بالنسبة لما يستحقه جلال الله تعالى فلا يرى نفسه مستحقا للثواب أبدا وكذلك من ماتت نفسه أما من نفسه حية تسعى فان علاجه لا آخر له فانظر بركة العبودية وتقريبها للطريق لأن العبد لما عرف وصفه وذله ميز وصفه من وصف ربه فترك منازعته فخلع عليه ما لاق به من الاخلاق الحسنة بلا تعب ولا نصب لأدبه معه فان جميع النقائص والدسائس انما دخلت على العبد من رؤيته الكمال في نفسه ولو تأمل ما شرعه الله تعالى من التكاليف علم يقينا انه عبد لا رائحة فيه من الربوبية لان الحق سبحانه وتعالى انما شرع الصلاة مثلا ليسمى عبده بالمصلى وهو المتأخر وكذلك الامر في جميع العبادات وتأمل نقص ابليس لما تكبر عن امتثال الامر كيف لعنه الله وطرده ومقته هذا مع قوة حجته وشبهته عنه نفسه في مجادلته الحق وقوله كيف تأمرنى بالسجود لآدم ولم ترده منى فلو أردته منى لوقع لكن نسى أن لله الحجة البالغة على خلقه وقد قال تعالى متى علمت أنى لم أرد منك السجود بعد وقوع الاباية منك وذهاب زمان الامر وقبل ذلك فقال له بعدما وقعت الاباية علمت أنك لو أردت السجود منى لسجدت فقال تعالى له بذلك آخذتك فلم تؤاخذ الا بالجهل وقلة الأدب لا بعدم السجود فافهم وتأمل كمال حال أبينا آدم عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين مع علمه بما الامر عليه فاصطفاه الله تعالى وقربه واجتباه فباب العبودية كله أدب ولذلك جعلت الطائفة الشريعة هى التزام العبودية فان العبد محكوم عليه أبدا الان حكم الشريعة لا يتركه يرفع رأسه بنفسه فما له من حركة ولا سكون الا وللشرع في ذلك حكم عليه بما يراه كما قيل

وفى كل انسان لسلطان شرعه * قضاء يرى كالسهم ليس له رد

ولكنه أمضى وأرضى ولا يرى * لمرميه من أن يصاب به بد

فليس في الطريق الى الله تعالى أقرب من باب العبودية لانه محض ذل وخضوع ورؤية تقصير وان حصل

الاعتزاز والتكبير وعدم الذل فهو على خلاف الاصل واسم العبودية منسحب عليه سواء كان مطيعا أو مخالفا
لان العبد الآبق لا يخرجه اباقه عن الرق وانما يخرجه عن تعاطيه بجهله لوازم العبودية من الوقوف بين يدى
سيده لامتثال أوامره ومراسمه فعلم أن العبد لا يخلو أمره فى نفسه عن حالين اما أن يشهد قيمته فيصحبه
الانكسار والتسليم والخضوع واما أن يقام فى مقام الاعتراف بسيده فيظهر عليه العجب بذلك والنخوة كعبة
الغلام لما زهافقيل له فى ذلك فقال كيف لا أزهو وقد أصبح لى ربا وأصبحت له عبدا كما هو الأمر فى نفسه
ولكن الفضل فى أن يكون ذلك الامر مشهودا فهاتان الحالتان محمولتان والتحقيق فيهما أن كل موطن طلب
ظهور الاعتزاز بالله كالجهاد لا ينبغى أن يظهر فيه العبد الا بالاعتزاز بالله وكل موطن طلب بذاته شهود العبد
قيمته لا ينبغى أن يظهر فيه العبد الا بشهود قيمته فافهم هذا الكلام فانه من النفائس والذى أميل اليه الذل لانه
على الاصل * واعلم أنه على قدر القرب يكون الخوف من الله تعالى لان جانب العبودية وقوف العبد عند حده
من العجز وجانب الدعاوى خروج لجانب الالوهية ومنازعتها فلذلك كان الخوف لا يفارق قلوب العارفين
طرفة عين لخوف التحويل والتبديل مع كل نفس لانه لا تقييد على الحق فى الدنيا والآخرة فباب الخوف
مفتوح أبدا * واعلم أنه ورد فى الحديث ميزان يسند اليه علامة الشقاء من الآن نعوذ بالله من ذلك وهو أنه
صلى الله عليه وسلم لما ذكر من سبق الكتاب على العبد بالشقاوة أو بالسعادة قالت الصحابة يارسول الله ففيم
العمل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له فلا تقع الامور الا على ما هى عليه فى
نفسها فقد بين بهذا أسباب الخير وطرقه وأسباب الشقاء والشر وطرقه وجعل السلوك فى طريق الخير للبشرى
فانظرها فى نفسك فان وجدت الامر عندك فى باطنك وظاهرك على السواء فتلك البشرى فافرح لها فى
السعادة فان الله ما يبدلك وان رأيت الخير فى ظاهرك ووجدت فى باطنك نكتة من شك أو اضطراب فيما
أنت فيه من عبادة ووقع لك خاطر يقدح فى أصلها بما يخالف ظاهر الفعل فاعلم ان الله تعالى لم يعطك ايمانا
ولا نور قلبك بنوره فابك على نفسك أو اضحك فمالك فى الآخرة من خلاق فهذا ميزانك فى نفسك وأنت أعرف
بنفسك وما يخطر لك فيها ولهذا ورد فى الحديث الصحيح ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة أى فيما يبدو للناس
أى لانه لا يبدو لله منه فى باطنه الا هذا الخاطر الذى يقدح فى الايمان من الشك العالم به ان الامر الذى هو فيه
من الشرع ما هو على ما يعطيه الظاهر هذا هو البلاء المبين وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو
للناس يعنى من المخالفات والذى يبدو لله من باطنه خلاف هذا من نور الايمان والصدق مع الله تعالى فى ان هذا
الحال الذى هو عليه مخالف لامر الله فيبكى باطنا ويخالف ظاهرا فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس فقد أبان صلى
الله عليه وسلم فى هذا الخبر ما للناس عليهم فى أنفسهم فافهم هذا فانه من النفائس * واعلم أنه لا غاية للعبد يقف
معها دون معرفة سيده ولا سبيل له الى معرفته حق المعرفة مع الترقى دنيا وعقبى وتنقضى أعمار العارفين وهم مع
الحق على أول أقدامهم فلم تف لهم أعمارهم انما تعلقت به هممهم من اقامة حقوق الحق التى عليهم ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك سبحانك لا نحصى ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك فصلى الله وسلم على معلم الخير وأعبد العبيد فاذا علمت ذلك كنت دائما على
عدم الاستقرار فى طلب مقام من المقامات لتكون مع الحق تعالى فيه لانه سبحانه وتعالى مع كل شئ لان نسبة
العلو والسفل عليه على حد سواء فهو مع عبيده فى درجاتهم ودركاتهم كما يليق بجلاله فوجب عليك ان ترضى
بجميع أحوالك لان الحق معك فيها فكن أنت كذلك معه فيها الا انك مطالب بأن تكون معه لأن تعلم انه
معك لانه تحصيل الحاصل فاعلى المقامات من حيث المعية وان اختلفت أوصافها كادناها على حد سواء اذا
شهدت هذا المشهد ولأنا لم نعط الامان من المقت والغضب فى أعلى الاحوال ولا أدناها الان المحو والاثبات
ليلا ونهارا ولا أمان معهما لاحد غير الانبياء ومن أراد الله تعالى فالزم الذل دائما والفقر من كل شئ الى الغنى
الحميد تكن عبدا ان شاء الله تعالى غير واقف مع شئ من الحظوظ دنيا وعقبى فلا يعرف لك مقام فى شئ لانه
لا يعرف له مقام الامن وقف معه ومن لا يقف مع شئ لا يعرف له مقام فى شئ فهو مستور فى الدنيا والآخرة ان شاء

الله تعالى ولذلك قال المحققون تعريف الولي منزلته من غير اذن الهي ولا اذن رباني من هوى النفس بتأويل ظهر له وهي من المنزلات لان الموطن الدنيوي لا يقتضي التعريف بالمقام الا للانبياء خاصة اذا أرسلوا وأما الاولياء فحظرتهم العبودية المحضة فهم في ستر مقامهم وحالهم لربهم لا لأنفسهم فعلم أن أعلى طوائف العبيد من لا مقام له وذلك لان المقامات حاكمة على من كان فيها والرجل من له الحكم لا من يحكم عليه فأصحاب المقامات هم الذين انحصرت هممهم الى غايات ونهايات فاذا وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغاية التي وصلوا بها بداية لهذه الغايات الأخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب ولا يزال لهم هذا الامر دائما وأما العبيد فما لهم هذا الحكم ولا هذا الحصر لانهم علموا اتساع الحق وانه ليس له غاية في نفسه ينتهي اليها وجوده فلا غاية له في شهوده لان الحق مشهودهم ولذلك كان القطب المحمدي لا يتميز عن غيره الا بأنه لا مقام له يتعين فمقامه مقام ونسبة المقامات اليه نسبة الاسماء الى الله تعالى فلا يتعين في مقام ينسب اليه بل هو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال فلا يستمر تقييده فان الاحكام الالهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها وهو عز وجل كل يوم في شأن فكذلك المحمدي فاذا علمت ذلك فلنذكر جملة من أحوال السالكين ومقاماتهم الساقطة بالعبودية لتعلم أن العبودية هي المرادة منك وانها أقرب الطرق وأخص مراتب الانبياء والصديقين ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار العبودية وقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لا أفتخر بالسيادة انما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولأجلها كان الايجاد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا فانه ما قال صلى الله عليه وسلم ذلك الا لعلمه بأنه صاحب الشفاعة العظمى ولذلك لما يأتون لغيره في القيامة ليشفع يأبى الا هو فقصد تقريب الامر على أمته ليبادروا اليه أولا * واعلم أن روح العبودية علم العبد بأنه عبد لله فان العبودية نفسها ليست بحال قربة لانها تقتضي العبد من وصف السيد لما فيها من الذل والعجز المباينين لرتبة السيادة ولذلك لما حار أبو يزيد في القرب وما عرف بماذا يتقرب الى الحق قال له الحق تقرب الي بما ليس لي الذل والافتقار فنفى عن نفسه الذل والافتقار وما نفاه عنه فانه صفة بعد منه فافهم * واعلم أن العبد ما خلق بالاصالة الا ليكون لله عبدا فيكون عبدا دائما فاذا خلع الله عليه خلعة السيادة وأمره بالبروز فيها برز عبدا في نفسه سيدا عند الناظر اليه فتلك زينة ربه وخلعته عليه وقيل لابي يزيد البسطامي رضي الله عنه في تمسح الناس به وتبركهم فقال ليس بي يتمسحون وانما يتمسحون بحلة ربي التي حلاني بها أفأمنعهم ذلك وذلك لغيري * واعلم ان صفاتك ليست من صفات سيدك لتستريح من دعوى ما ليس لك ولا من وصفك وترى أن وصفك انما هو الذل والعجز ورؤية التقصير في جميع أحوالك وان جلت هذا أشرف أحوالك وقد تبختر بعض العارفين رضي الله عنه في مشيه شبه المعجب التائه بنفسه فقيل له في ذلك فقال وكيف لا أتيه وقد أصبحت عبدا محضا خالصا لا أعرف للربوبية طعما وهذا مقام عزيز لا يكون الا لواحد زمانه في كل عصر نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحققنا بالعبودية وأن لا يحول بيننا وبينها الى أن نلقاه انه على كل شئ قدير فمن ذلك رؤية العبد أنه تاب مما سوى الله تعالى اذا حصلت له هذه الرتبة لأن رؤيته هذه تسترقه فيخرج عن العبودية فيتوب عن هذه الرؤية امتثالا لأمر الله تعالى أن لا يتخذ من دونه وكيلا واذا وقف العبد مع ما منع من العطاء حجب عن المانع وقد قال الشبلي رضي الله عنه حد التوبة أن لا تشهد في الدارين سوى الله تعالى * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ومن ذلك التفكر في ملكوت السموات والارض يشهد الحق فيه لانه طلب لحالة ما يكون مع الحق سبحانه وتعالى والعبد يشهد سيده دائما في كل مكان بلا امكان فهو دائم الوقوف بين يديه لا يطلب منه شيأ الا بلسانه ولا بقلبه الا على وجه الذل والفقر عبودية محضة لا ترجيح فيها للعطاء على المنع بوجه فمتى ترجح عنده العطاء على المنع أو السعادة على الشقاء فهو في حظ نفسه لم يبرح مع ما في ذلك من التحكم على الله تعالى وهذا لا يدرك الا ذوقا فكم من شخص طلب من الله تعالى شيأ معينا فلما أعطاه أدركه الندم على ما عين وتمنى أن لو لم يكن سأل ولا عين وذلك واقع كثيرا في الأمور الرفيعة سواء كانت دنيوية أو أخروية كمن تمنى أن يكون شيخا مثلا فلما أعطاه تعالى المشيخة جاءه البلاء وتوجهت

اليه الآمال وتمنى أنه لو كان لم يعرف وكمن تمنى وهو فقير أن يعطيه الله تعالى المال فلما أعطاه طلس قلبه وأعمى عن الخير وصار يقول هنيأ للفقراء الراضين الذين لا يبالون بما زوى عنهم من الدنيا * واعلم أن كل من كان مبتلى بالله تعالى أخف ممن كان مبتلى بنفسه على أن بعض العارفين رضى الله عنه قال لا يخرج الأولياء عن حظوظ أنفسهم اذا كان لهم طلب الى حالة من الأحوال حتى فى حال طلبهم الحق فانه لا يصح أن يطلب الحق للحق وانما يطلب للحظ فان فائدة الطلب التحصيل للمطلوب والحق لا يحصل لاحد منهم فلا يصح أن يكون مطلوبا فلم يبق الا الحظ فافهم فليحذر العبد من التفكر الذى لم يؤمر به لانه طلب للحق وللكون وقد علمت ما فيه وفى الخبر ان الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فاشتركنا فى الطلب مع الملأ الأعلى ولكن اختلفنا فى الكيفية فمنا من يطلبه بفكر ومنا من يطلبه به وأما الملأ الأعلى فيطلبه بالعقل وماله الفكر وليس منه من يطلبه به وسببه كون الكامل منا على الصورة وليس الملك عليها فلهذا صح من الكامل منا أن يطلبه به ومن طلبه به وصل اليه وانه لم يصل اليه غيره * واعلم ان الذات مجهولة غير مقيدة بتقييد معين ولولا هذا التحيرت كما أشار اليه الحديث فى قرب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء قاب قوسين وقرب يونس وهو من بطن الحوت فى قعر البحار وهما على حد سواء فى القرب مع الحق فالصعود والهبوط على السواء فحكمه على العرش كحكمه تحت الثرى فان كان ولا بد من التفكر فالتفكر فى نفسه لقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون ولا يتعداها الجانب الحق تعالى فان مآله الى الحيرة وكيف يحيط الحادث بالقديم مع أن الاشتغال بالتفكر وبعدم الشكر فيكون صاحب عذاب بين وغاية ما يصل المتفكر الى ما ولده فكره وقد يفهم ذلك من الاشارة عقب قوله تعالى ولم يولد فان كان العاقل مؤمنا كان طعنا فى ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه أنه ليس بمؤمن فذات الله سبحانه وتعالى لا تدرك بالفكر والعقل لان كل دليل عقلى يقبل الشبهة ولهذا اختلف العقلاء فكل واحد من المخالفين عند دليل مخالفه فى شبهة لمخالفه لكونه خالف دليل هذا الآخر فعين أدلتهم كلها عين شبهتهم فأين الحق وأين العقل وأصل الفساد انما وقع من حيث حكموا الخلق على الحق الذى أوجدهم مع انه أقرب الى الانسان من حبل الوريد ولا يدرك ولا يعرف الا تقليدا ولولا اخباره بصفاته ما دل عليه عقل ولذلك قال وهو معكم أينما كنتم ولم يقل وأنتم معه لانه مجهول المصاحبة فهو سبحانه وتعالى يعلم كيف يصحبنا ولا نعرف كيف نصحبه فالمعية له ثابتة لنا منفية عنه فافهم * واعلم أن علم كل أحد بالله سبحانه وتعالى على قدر نظره واستعداده وما هو عليه فى نفسه فما اجتمع اثنان قط على علم واحد فى الله من جميع الجهات كما لا يجتمعان على مزاج واحد كذلك وهنا اسرار يفهمها أهل الله تعالى * واعلم أنه لم يسلم أحد من التفكر فى ذات الله تعالى مع النهى عن التفكر فيها حتى الغزالى رحمه الله وخطأه العارفون فى جميع ما قاله وهو مسؤل عن ذلك لأنه رجح عقله عن ايمانه وحكم نظره فى علم ربه وقد حار العارفون رضى الله عنهم فى ذاته سبحانه وتعالى وكذلك خطؤوه فى قوله ان الله تعالى يعرف من غير نظر فى العالم فان راموا أن يفصلوا نسبة الحق من العالم لا يقدرون وان راموا أن يجعلوه عين العالم لا يقدرون ولا يتحقق لهم ذلك فهم متحيرون فيقولون فى وقت هو وفى وقت ما هو فلا يستقر لهم فيه قدم وغالب الخلق الذين يطلبون معرفة حقيقة الذات حائرون فى عمياء يخبطون فيها عشواء وما ثم نور اعيان تدرج الادلة فيه فغاية المعرفة العجز عن المعرفة كما قال السيد أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولعله سبحانه وتعالى انما أحال النافى معرفته على معرفة نفوسنا لعلمه انا لا ندرك ولا نعلم حقيقة نفوسنا ونعجز عن معرفتنا بنا فنعلم انا به أعجز وان قلنا لا نحصى ثناء عليك فهذا الاطلاق يقيده فقد قيدنا بالاطلاق فثناؤنا عليه بنا تقييد له من باب أولى فظهر من تضاعيف الكلام ان الحيرة فى الحق هى عين الوصول اليه واعلم ان البهائم مفطورة على الحيرة فى الله تعالى فاعلى ما يصل اليه أهل النظر الصحيح وأهل التجلى مبتدأ البهائم لأن أهل النظر يريدون أن يخرجوا بنظرهم عن الحيرة الى معرفة الحق يقينا فيؤديهم ذلك الى ما فروا منه والبهائم ليس لهم فكر ولا نظر لينتقلوا بهما عن حال فطرتهم التى خلقوا عليها فأشد الناس حيرة فى الله تعالى أكثرهم علما به ولذلك كان أشد آية على العارفين قوله تبارك وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون لما فيها من التداخل والشبه على من استدل بفكره

وعقله لانه سبحانه وتعالى لايحكم عليه خلق من عقل وعاقل وانما يعرف الحق من الحق كشفا وشهودا بوحى فتكون المسألة منه وشرحها منه فلا يعرف من ليس كمثله شيء وصف شيء بنفسه فكل من وصف الحق بوصف لم يصفه تعالى نفسه به فهو قاصر فى وصفه لانه رب العزة ولانه وصف لايقيده نعت ولا يدل على حقيقته اسم والا فليس برب العزة ان العزيز هو المنيع ومن يوصل اليه بنعت أو وصف أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى فلذلك عم بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين لانهم أكمل الخلق معرفة بالله والحمد لله رب العالمين على ذلك الكمال فلا يخوضون فى شيء من صفاته الآية * واعلم ان الأدلة العقلية اجتمعت من كل طائفة بل من ضرورات العقول ان لهم موجدا أوجدهم يستندون اليه فى وجودهم وهو غنى عنهم ما اختلف اثنان فى ذلك قط وهو الذى طلب الحق من عباده الافتقار اليه والعبودية أى اثبات وجوده فلو وقفوا هنا حتى يكون الحق هو الذى يعرفهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينبغى ان يضاف اليه ويسمى به أفلحوا لكنهم لم يقفوا وخلق الانسان عجولا لانه رأى لنفسه قوة فكرية فتصرف بها فى غير محلها فتكلم فى الله بحسب ما أعطاه نظره فأخطأ فافهم ذلك فعلم ان المراد بكلام الصديق السابق العجز عن الحكم على الله بما لا ينبغى له فقط بطريق دليل العقل اما من أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله لانه علم موهوب من حكيم حميد فالقائل سبحان من لا يعرف الا بالعجز عن المعرفة به صاحب علم نظر لا صاحب تعريف الهى فالحق سبحانه وتعالى يعلم ويرى لانه انما خلق المعرفة المحدثة به لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود فتأمل هذا المحل فانك لاتجده فى كتاب والكلام عليه يستدعى مجلدات وسيأتى فى الكلام على مقام المعرفة مزيد بيان * وسئلت عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فرأيت فى عالم الخيال العرش وما حواه علوا وسفلا وأنا داخله فجاء طائر أبيض طويل العنق فالتقط العرش بما فيه فشهدته مع الطائر الذى التقطه بالنسبة لما لا يتناهى من سائر جوانب العرش كالهباء فى الكوة اذا فتشته لم تجد شيأ لانه لم يأت فى كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ فليس فوق العرش سقف الى ما لا يتناهى فى الخلا ولا الملا وليس تحته قرار الى لا ما يتناهى كذلك وكل هذا مخلوق وقد وقعت فيه الحيرة فكيف بخالقه وكيف يتوهم أن العرش مستقر الحق سبحانه وتعالى تعالى الله عما يصفون والحمد لله رب العالمين * ومن ذلك الحزن فالعبد لا يحزن على فوات شيء لانه لو قسم له مافاته فان الوقت الذى قسم له فيه طاعة لا يمكن خلوه عنها والوقت الذى قسم له فيه بطالة من كسل وخمول وغيرهما لا خلوه عنه ووقت النوم لا يكون يقظة ووقت اليقظة لا يكون نوما وغير الولى لا يكون وليا وهكذا ففى الحقيقة لم يفته شيء قسم له ثم فاته حتى يحزن عليه وانما هو توهم على غير حاصل والوقت الماضى ذهب بما فيه من خمول وكسل والحزن يبطل وظيفة الوقت الحاضر عن كمال الاقبال والعبد مأمور بالاقبال على الله تعالى فى كل نفس وليوفى أسبابه فيشهد اقامة الله له فيها واعلم أن من حزن على شيء من الدنيا والآخرة لاستبعاد أن ايجاد ضد ما وقع له كان أولى فقد تعرض لمقت الله تعالى لان الحزن سوء أدب معه تعالى فانه طلب لما لم يقسمه له كالتمنى المنهى عنه وصاحبه مع نفسه فلو كان معه ربه رضى بكل حالة برزت على يده لانه تحت القهر * واعلم انه ليس فى هذا الذى قررناه ترك للامر بالعمل لان ذلك لا يصح لان قولنا للعبد لا تصل مثلا لا يصح امتثاله الا ان سبق فى علم الله تعالى انه لا يصلى ونؤاخذ نحن بامرنا بالمنكر وقولنا له صل مثلا لا يصح امتثاله الا ان سبق فى علم الله تعالى انه يصلى ويحصل لنا وظيفة الأمر بالمعروف والأمر بالعمل باق على وجوبه فى كل وقت وكل شيء برز بعد الأمر أو النهى من الموافقة أو المخالفة وهو السابق فى علم الله تعالى فان العبد لا يعرف ما سبق له فى علم الله تعالى الا بعد وقوعه وأما المحو والاثبات فى نفس الأمر فلا علم للعبد به لانه لا يعلم ما برز على يديه ان كان محوا بعد اثبات أو اثباتا بعد محو ولا يخفى أن العبد يعطى كل ما برز على يديه حقه فما فيه مخالفة للامر يتوب ويستغفر منه وما فيه موافقة له يحمد عليه ومن فهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له حقق هذا الأمر ان شاء الله تعالى ومن ذلك الخوف والرجاء أما الخوف فالمطلوب بنفسه أن يكون على سبيل الاجلال والتعظيم لله تعالى وتعظيم كل انسان واجلاله بحسب رتبته ومعرفته بالله تبارك وتعالى قال صلى الله عليه وسلم أنا

أعرفكم بالله وأخوفكم منه وأما الخوف المعلول فهو لأهل الحجب والعبد الكامل لا حجاب له عن سيده ولا مراد له مع مراده فكيف يخالف لعلة من عقاب أو غيره ولأن في خوفه هذا احترازا على النفس لدفع مكروه عنها في زعمه ولا يخفى عجزه عن دفع ذلك عنها مع ما في ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى وأما الرجاء فالمطلوب منه أن يكون على سبيل اظهار الذل والمسكنة لا طلبا للوقوع مما يرجوه هذا رجاء العارفين رضي الله عنهم لأنهم على بصيرة من أمرهم فلا رجاء عندهم لشيء وحلاوة المنع عندهم كحلاوة العطاء رضي الله عنهم أجمعين وهذا لا يدرك الا ذوقا ولأن في طلبه الوقوع لما يرجوه معارضة للحق وتحجيرا عليه في ملكه مع ما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى لأنه طلب لما لم يستحق وجوده وقسمته له كالتمني فهو رعونة نفس واختيار حظها والعبد ليس له مع الله سبحانه وتعالى ارادة ولا اختيار وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون فمن ادعى ان له ارادة واختيارا مع الله تعالى حقيقة فهو مشرك مدع للربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله لان ما لله تعالى لا ينبغي أن يكون للعبد وقد قال ما كان لهم الخيرة ولا يخفى ان كل من شهد له ارادة واختيارا ليس له من نسبتهما اليه سوى الاسم كما هو مشاهد عند جميع الفرق فهما فانيان في ارادة الله سبحانه وتعالى واختياره ولا بأس بهذا الشهود بقصد الاعتراف لله تعالى بالحجة البالغة عليه فان نفى العبد ارادته واختياره يقع في العكس فيصير للعبد الحجة على الله تعالى نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه * واعلم ان كل أحد يعلم تقرر هذه المسئلة من نفسه يقينا لأنه فيها ليلا ونهارا فانه يختار فعل الشيء ولا يقدر على فعله ويكره فعل الشيء فيفعله على رغم أنفه ويتكدر لذلك ومن كابر في هذا فهو مكابر في المحسوس * واعلم انه ليس من الاختيار المذموم الاختيار الذي هو ملازم الفعل لان ذلك من لازم العبودية اذ لا يصح امتثال الأمر واجتناب النهي الا بعد توجه القلب للفعل أو الترك فلا يتصور لنا فعل من غير اختيار الا في المكره وحركة المرتعش فلو خرج العبد عن العبودية بهذا الاختيار لفسخت عزائم العبيد في كل شيء يراد منهم ثم اعلم انه ليس من الأدب أريد أن لا أريد كما يقع ذلك لكثير من الفقراء لان هذا ارادة بل الأدب ان يقول أريد ما تريد هذا هو الذي تعطيه حقيقة الانسان فكما ارادة الشرع يريده فيتصف بالارادة لما ارادة الشرع خاصة فلا يبقى له غرض في مراده معين لان جميع مختارات الشرع وترتيباته ليس للعبد فيها اختيار لاندراج ارادة العبد في ارادته فلا ينخدع عاقل قاصر عن درك الحقيقة فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن يخرج بها العبد عن صريح العبودية لأن كل شخص مخاطب بالخروج عن ارادته واختياره لارادة الشارع واختياره فافهم ولعل هذا هو المراد بقول أبي يزيد رضي الله عنه أريد ان لا أريد وبقول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله تعالى ومعه تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته فافهم وتأمل هذا الموضع فانك لا تجده في كتاب * ومن ذلك الزهد في حظوظ الدنيا والآخرة لأن رؤيته كونه زاهدا فيها يحجبه عن سيده ولأن العبد ناظر الى تصرف سيده في العطاء والمنع والأخذ والترك فلا يرى أنه ترك شيأ ولا أخذ شيأ ولأنه لا يصح ان يزهد فيما قسم له وما لم يقسم له لا يحتاج في تجنبه الى الزهد فيه لانه ليس له فالزاهد قسم الله له عدم الميل الى تحصيل ما لم يطلبه فاراحه من التنغيص في معيشته من الازل بالنسبة لما لم يحصل له لحكمة يعلمها ثم مدحه فضلا منه كسائر النعم التي أعطاها العباد وألبسها لهم والراغب قسم له ما رغب فيه من وسع المعيشة وذمه عدلا منه سبحانه وتعالى فالعارفون عرفوا الوجه في ذلك والجاهلون وقفوا عند المدح وفرحوا به ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولان جميع ما يرى الزاهد انه تركه من الدنيا بتقدير كونه له لا يساوي عند الله تعالى بعض جناح بعوضة فلا يصلح أن يكون تركه كبير قربة الى الله تعالى الا من حيث اتيانه بصورة الصفة المحمودة عنده تعالى ولا يخفى أن زهد كل انسان على حسب رتبته عند من يقف معه ويرى انه زاهده فزهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورثتهم في أمور لا يذوقها غيرهم كل على قدر حظه ونصيبه فلا سبيل لنا الى الكلام على منازلهم لأنه لا ذوق لأحد منا في مقامات الانبياء الا نبي أو رسول ولا في مقام الوارثين الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي فلا تعرف مراتب الرسل الا من الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية في آخر الزمان فكل عن مقامه يترجم وما منا الا له مقام معلوم ثم الى ربكم ترجعون

واعلم

واعلم انه لاينافي مقام أهل الزهد تجارتهم وبيعهم وسفرهم في أمور الدنيا الظاهرة لان دنياهم لآخرتهم وآخرتهم
لربهم وعلى ذلك يحمل أصحاب التجارات والأموال من الصحابة والسلف الصالحين واليه الاشارة بقوله تعالى
رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وبقوله وابتغوا من فضل الله وغيرهما من الآيات ولا ينافي هذا قوله
تعالى في حقهم آية أخرى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة لان المراد منكم من يريد الدنيا أي للآخرة
بذلا وايثارا ومنكم من يريد الآخرة أي أفضل الجهاد لاغير ولم يطلب غنيمة ولم يلتفت اليها فمن الصحابة الفاضل
والافضل والكامل والأكمل فاحذر أن تظن بهم غير ذلك فتهلك واحذر من الانكار على المتسببين في الدنيا من
اخوانك وغيرهم اذا كنت متجردا عنها لأن الغالب عليهم عدم الدعوى ورؤية التقصير واعترافهم بفضل
المتفرغين لطاعة الله سبحانه وتعالى والغالب على المتجردين من غير أهل الطريق الكبر والرياء والاعجاب
والتزين للخلق بطاعة الله تعالى استحلابا لما في أيديهم وعلامة ذلك ذمهم الناس والاخذ عليهم اذا لم يلزموهم
وعيبهم الناس اذا لم يخدموهم كما يشاهد منهم حين يسألون أحدا حاجة فلم يقضها فانهم يجدون استبعادا في باطنهم
كأنهم يطلبون على عبادتهم أجرا من الناس فالذي يخدمهم يحبونه ويقربونه ويبشون في وجهه ولا يستثقلون
جلوسه عندهم والذي لا يخدمهم يفعلون معه ضد ذلك * ومن ذلك الورع عن كل ما يشغل عن الحق سبحانه
وتعالى فمن رأى نفسه في ذلك شغل عن الحق تعالى ولأن العبد راض بما أقامه سيده فيه فاعلى المراتب كادونها
عنده اذا اشهدها منه ولأنه سبحانه وتعالى معه في كل حالة على حد سواء وشهوده العبد وهم منه لحجابه ولان كل
حالة يكون للعبد فيها طاعة ومعصية هي المراد منه وان خالف الأمر فهو مطيع للارادة ولذلك قال العارفون
رضي الله عنهم لا يتوقف الفتح على الطاعة فقد يفتح في غير الطاعة أعظم مما يفتح فيها فان الفتح جود ومنة
والاعمال للجزاء في الدار الآخرة * واعلم ان من المحال ان يأتي مؤمن معصية توعد الله تعالى عليها بالعقوبة الا
ويجد بعد الفراغ الندم على ما وقع منه وفي الخبر الندم توبة فلا يتصور ترك الندم للمؤمن المعاصي فلا بد أن يكره
المخالفة ولا يرضى بها فهو مؤمن بانها معصية ويصدق عليه قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فالعمل الصالح
ايمانه بانها معصية والعمل السيء كونه فاعلا * واعلم أن العبد اصغر قدرا وأحقر من ان يخالف الله سبحانه
وتعالى باطنا وظاهرا مستقلا بلا ارادة سابقة لان ذلك انما يكون للعبد المستقل بما يفعل وذلك محال فجميع
الخلق ولو ادعوا الالهية تحت القهر والقضاء السابق لا يخرجون عنه انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فتسمية الخلق عصاة ومخالفين انما هو
بحسب الامر الظاهر وفي الحقيقة لا يخرج أحد عن طاعته فيما يريده منه فمن أراد له طاعة الأمر لا يمكنه
المخالفة ومن أراد له معصية الأمر لا يمكنه الطاعة ومع معرفتنا بهذا الامر نقوم بما كلفنا به من الأمر بالمعروف
لمن خالف الامر بالارادة أيضا فقد يريد منا السكوت على المنكر فلا يمكننا النطق بالنهي عنه وقد يريد منا
التغيير له فلا يمكننا السكوت عليه وهذا مشاهد كثيرا فالعبد تحت تصاريف الاقدار وأحق ما اتصف به
العجز وأحسن أحواله الاعتراف بالتقصير في جميع معاملاته مع الله سبحانه وتعالى * واعلم ان من كمال
الوجود ارادة الحق ان يكون في عباده المخالفة والمعصية فالنقص من ذلك نقص في العالم لقوله صلى الله عليه وسلم
لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وانما لم نأمر بعضنا بالمعاصي
والفساد اذا كان نقصا من الوجود أدبا مع الله تبارك وتعالى لأنه تعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء ان الله
لا يحب المفسدين ونسب الأمر بذلك الى الشيطان في مثل قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
وأمثالها لأنه منديل هذه الدار يمسح فيه أوساخ النسب وهي نسبة اضافة واسناد لا نسبة خلق وايجاد قل كل من
عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك
والمراد من الله خلقا وايجادا ومن نفسك اضافة واسنادا فافهم فتعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد ولم تزل
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تضيف الفعل المؤلم الى نفسها والحسن الى الله تعالى أدبا مع الله بما الأمر عليه
فقال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما فاضاف العيب الى نفسه

والمحاسن الى ربه وقال ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه ولم يقل أمرضني وقال نبينا عليه الصلاة والسلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك فالتزم صلى الله عليه وسلم أدبا في التعبير مع علمه بان الله تعالى خالق الشر وانما قلنا ان وجود المعصية من خلقه كمال له ليظهر فضله على خلقه وحلمه عليهم ولطفه بهم مع كثرة عصيانهم ومخالفتهم بخلاف ما لو كانوا كلهم مطيعين فالعاصي داخل في سياج الارادة لم يخرج وكذا قال شيخنا رضي الله عنه لا يتخلص احد من معصية محضة قط فلا بد أن يشوبها طاعة وهي موافقة الارادة ومرادنا الموافقة في حال فعلها الا أن أهل الله سبحانه وتعالى يشهدون جريان الاقدار عليهم فيبادرون والامتثال لها ليستوفوا المقدر الذي لا مرد له ولهم حجاب رقيق يعرفونه يغشاهم لاجل التعبير عنه لانه لا يصح من أهل الشهود مخالفة للحق مطلقا وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله امضاء قضائه وقدره سلب من ذوي العقول عقولهم حتى اذا امضى فيهم قضاءه ردها عليهم الحديث ولا بد من ان الحق سبحانه وتعالى يزين لهم ذلك العمل المخالف بتأويل يقع لهم فيه وجه الحق لا يقصدون به انتهاك الحرمة واذا وقع منهم المقدر أظهر الله لهم افساد ذلك التأويل الذي أداهم الى ذلك الفعل وتقدم تقرير ذلك في الكلام على معصية آدم فراجعه وبالجملة فهذا مسلك ضيق يدق وأما من تخلف شهوده لذلك عند الفعل فهي معصية محضة في زعمه شديدة القبح لقوة جراءته حينئذ على مخالفة الله تعالى ومعصيته وذلك قدح في الخطاب والتكليف ومباهتة للحس واعلم انه يقع للسالك في حال نقصه غلبة شهود الفعل لله تعالى فيقول ما عصى الله تعالى أحد ولا أطاعه أحد بل الامر كله لله وهو قوله واليه يرجع الامر كله لانه يشهد افعال العباد خلقا لله تبارك وتعالى والعبد محل لذلك الخلق فيه أو به أو عنده على حسب ما يعطيه نظر كل ناظر لان كون الافعال طاعة أو معصية ماهو عينها وانما ذلك حكم الله تعالى فيها فيؤاخذ العصاة بما فعلوا لانهم سبب في ايجاد المعصية واقامة نشأتها وهي معصية في حقهم لكنها انشأت مطيعة لله تعالى تستغفر للسبب الموجب لها لوجودها ولا علم لها بكونها طاعة أو معصية لانها غير مكلفة وما في العالم الا منشأ صور أعمال متعدية في الشرع لطاعة أو معصية فلا طاعة ولا معصية فاذا انشأت فلا غذاء لها الا التسبيح بحمد الله وتسمى هذه حضرة الأفعال لانه يتساوى عنده الطاعة والمعصية ولا يسعه غير هذا ولما دخلتها خاصني الله تبارك وتعالى فيها من تناول ما حرمته الشريعة في مدة يسيرة وساعدني على ذلك ما عندي من العلم بتفرقة الشارع بين الطاعة والمعصية وان كان الكل فعله فان غالب من يكون فيها من لم يكن عنده علم بذلك يصير عند صاحبها نعيم لا يعادله نعيم لانه يصير لا خوف عنده ولا رجاء واعلم ان العبد لا يقدر على تخليص الفعل بجانب الحق تعالى لارتفاع حكم الخطاب بالتكاليف ولانه لا يأمر وينهى الا من له قدرة على فعل وقد ثبت التكليف للخلق بالاوامر والنواهي وكون الانسان خلق على الصورة من الاستخلاف على غيره ويؤيد ذلك أنه حينئذ يطلب وجود الفعل له والحق يشهد له ولذلك قال بعض مشايخنا بالميل الى الكسب جزما لأنه أقوى في الدلالة ولا يقدح فيه رجوع كل ذلك الى الله سبحانه وتعالى بحكم الاصل فانه لا ينافي هذا التقرير فاضمحلت حجة القائلين بالكسب عند من لا يقول به من كونهم قائلين بالكسب لان ذلك لا خلاف فيه عند الفريقين لانه خبر شرعي وأمر عقلي وانما ضعفت حجتهم من نفيهم الأثر عن القدرة الحادثة فافهم وكذلك أيضا لا يقدر أحد على تخليص الفعل لجانب الخلق لا من طريق النقل ولا من طريق الكشف وجميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الحكم فلم تأت شريعة تخلص الفعل لأحد الجانبين لانك ان نسبت الفعل الى قدرة العبد كان لذلك وجه في الأخبار الالهية وان نسبت الفعل الى الله تعالى كان لذلك وجه فيه أيضا وأما الأدلة العقلية فهي متعارضة وان كانت غير متعارضة في نفس الامر وايجاد الفعل لا يكون بالشركة ولهذا لم يلحق المعتزلة بالمشركين لانهم أضافوا أفعال العباد للعباد فاجعلوهم شركاء وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع في ذلك والاشاعرة أضافوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله عقلا وساعدهم الشرع على ذلك وهذا أقوى عند أهل الكشف من اهل الله تعالى فعلم ان هذه مسئلة لا يتخلص فيها توحيد لجانب البتة فيقرها كما أقرها الله تعالى فلا بد لك في مثل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى من عينين عين

تدرك بها أن الرمى لله تعالى وعين تدرك بها أن الرمى للعبد وصاحب العين الواحدة أعور من فقير وغيره فلا يعلم
حقيقة هذه المسئلة الا أهل الكشف خاصة وأما غيرهم فينزلون مختلفين دنيا وأخرى غير ان الجنة لا نزاع فيها
كالدنيا الا أن كل واحد قد قرره الحق على اعتقاده فما فى المسائل الالهية من يقع فيه الحيرة أكثر ولا أعظم من
مسئلة الافعال المحمودة والمذمومة لاسيما فى الكلام على تحقيق ذلك وهنا يقال بوجوب الايمان بطريقين
متناقضين وهو من أعجب الامور فاذا علمت جميع ما قررناه علمت ان حجة الله لم تزل قائمة على عبده فى كل حالة
هو فيها ولو اتخذ ضالا لأن العلم تابع للمعلوم وما هو حاكم على المعلوم فاذا قال العبد لم تؤاخذنى قال له الحق وهل
آخذتك الا بما أنت عليه فى حال عدمك فما أبرزتك فى الوجود الا على قدر ما أعطيتنى من ذاتك بقبولك
فيعرف العبد أنه الحق فتنتدحض حجة الخلق فى موقف العرفان فاعتراف العبد بالعجز والتقصير أولى به فى كل
أحوال فتأمل فى هذا المحل فانك لا تجده فى كتاب * ومن ذلك رؤية كونه من أهل التبتل وهو الانقطاع الى الله
تعالى دون غيره من الانام على وجه الارث عنه صلى الله عليه وسلم وهو أى الفقير لم يصل الى ذلك لأنه نازع الى
طلب قرب ووصول وطلب الحق من جهة مخصوصة وحال مخصوص سواء كان بالخلوة والجوع أو بغيرهما لأن
العبد الكامل لا طلب له فى سكونه وحركته وعزلته ومخالفته وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من
أقبح الذنوب عند بعض أهل الله تعالى التملق بالطاعات والاوراد لنيل قربه أو غيره وقد جف القلم بما هو كائن
فلا تقوى تقى تزيده ولا فجور فاجر ينقصه فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص اذا علمت ذلك فدعوى
المتبتل منا أنه خرج عن كل ما سوى الله الى الله جهل محض لأنه يتخيل ان العالم بمعزل عن الله والله بمعزل عن
العالم فطلب الفرار الى الله بحسب ما خيل وهمه وسبب ذلك عدم الذوق للاشياء وكونه سمع فى القرآن ففروا الى
الله وهو صحيح الا أن الفار بهذه المثابة لم يجعل باله الى ما ذكر الله فى الآية التى عقبها وهو قوله ولا تجعل مع الله
الها آخر فلو عرف هذا عرف ان المراد بالفرار ان يفر من الجهل الى العلم لا غير لان الحق أقرب اليه من نفسه وهو
مع كل شئ على حد سواء وبالجملة فحكم الفار من الخلق اذا حصل له صفاء قلب ورقة حجاب حكم الرطب المعمول
بخلاف من وهبه الله سبحانه وتعالى الا شتغال به عن سواه فان حكمه كالرطب الجنى كما فى قوله تعالى وتبتل
اليه تبتيلا فافهم ذلك وبالله التوفيق * ومن ذلك رؤية كونه من أهل المراقبة لله تعالى فحجبه الرؤية عن المراقبة
فاذا كان يشهد أفعاله صادرة عن سيده فيراقب فيماذا وكيف يصح من العبد مراقبة والله رقيب على مراقبته
وعلى كل شئ فرؤية التقصير أولى بالعبد فان حصل له مراقبة لا يقف معها وان لم تحصل له لا يطلبها الا أنه لا يعلم
ما فيه صلاحه فقد تكون الغفلة أولى لعدم خلوصه من الدعوى فى اليقظة وقد تكون اليقظة أولى له كما يشاهد
ذلك أهل الله تعالى فى جميع أفعاله معهم ولا يدرك هذا الأمر الا بالذوق فافهم والتسليم أسلم وان جادلوك فقل
الله أعلم ومن ذلك رؤية كونه من أهل العبودية لأن العبد غائب عن رؤية عبوديته شغلا بربه لأن الله تبارك
وتعالى عليه فى كل وقت رؤية سهم من العبودية يطلبه منه بحكم الربوبية فاين فراغه لغير ذلك ولأن العبد لا يرى
انه أعطى شيأ من النعم الظاهرة والباطنة بسبب عبوديته لأنه غارق فى نعم سيده فلا يتأتى من جانبه عوض يقابل
به المنة لانه مفلس على الدوام وجميع أفعاله خلق الله تعالى وقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون ونحوها من
الآيات محض فضل كأصل الفعل واذا كان نسبة الفعل الى العبد فضلا فاثر الفعل من باب أولى فمواهب الحق
لا تتوقف على العلل واليه يرجع الأمر كله كما بدأنا أول خلق نعيده * ومن ذلك رؤية كونه مخلصا وشهود غيبته
عن هذه الرؤية بشهود اقامة الله تعالى له فى الخلاص من غير تعمل وهو الدين الخالص وما قبله مخلص فالخالص
قام فى العبودية من غير استخلاص وصاحبه ليس من العباد الذين أمروا أن يعبدوا الله مخلصين اذ لا فعل له فى
الاستخلاص لانه لم يعرف الا هذا الدين الخالص من غير شوب خالطه حتى يستخلصه منه فيكون مخلصا هذا لم
يذق له طعما مثل ما ذاقه الغير ومن كان هذا حاله من الدين فهو صاحب العمل الخالص فلا يشقى لانه لا يعرف
أشقاء الا أهل المكابدة والاجتهاد فى استخلاص الدين فمن أمرهم الله تعالى أن يستخلصوه منه وليس على
الحقيقة الا هوى أنفسهم وانما كان العبد غائبا عن جميع النسب والدعاوى لانه لا يرى له نسبة فى شئ لان جميع

ما يجريه الله تعالى على يديه ليس منه شيء والله خلقكم وما تعملون ولان العبد انما يعمل لنفسه فكيف يطلب أجرا على عمله لان من خاط لنفسه قميصا مثلا لا يحسن منه أن يطلب أجرته من أحد بل يستخف الناس عقله وكذلك الحكم فيمن يشهد الفعل محضا لله تعالى فافهم فالعبد انما وظيفته امتثال أمر سيده واجتناب ما نهاه عنه بمعونة الله تعالى ولا يخفى أن من يشهد أفعاله خلقا لله تعالى يهون عليه أمر الخلاص وعلاجه وتنقية العمل مما يشوبه لأن الشخص اذا أهدى الملك صنعته بلا تغيير وتدنيس منه لها فلا عتب عليه ما دام يشهد هذا المشهد وهذا لا يدرك الا ذوقا فمن جهة كون الفعل فعل الحق سبحانه وتعالى لا عتب عليه وهو في غاية الكمال ومن جهة كونه على يد العبد بروز وتدنس فهو مأمور بتنقيته مما يشوبه ولا يصح له ذلك أبدا فغايته صورة الاخلاص في العمل ان يقف العبد كشفا على أن الفاعل لذلك العمل هو الله سبحانه وتعالى كما هو في نفس الأمر أي عمل كان وكون ذلك العمل محمودا أو مذموما فذلك هو حكم الله سبحانه وتعالى فيه ما هو عين العمل وأما اذا أهدى العبد للملك صنعة نفسه فانه يحسنها جهده بل ذلك واجب على العبد ما دام يشهدها منه فاذا علمت هذا فكل عبادة وقعت على يديك معلولة برياء وغفلة فمن الادب اذا أعدتها ان لا تنوي بها تدارك الخلل الواقع في العبادة وتستدرك بتلك عبادة الوقت الماضي وقد ذهب بما فيه وهذه عبادة الوقت الحاضر بل انوبها امتثال الامر لقوله تبارك وتعالى ألا لله الدين الخالص وصلاتك أبدا لا تسلم من الخلل ورؤيتك الكمال في الصلاة للعبادة خطأ منك لان الفعل الخالي من الخلل صلاة كانت أو غيرها من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترافك بالنقص والتقصير أولى دائما ولو في أعلى المراتب فافهم ذلك * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الاستقامة ومن أين للعبد ادعاؤها وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها قال بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم لا نرى ذلك الا من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فافهم ذلك وان شهد العبد الاستقامة فهي منة من سيده سبحانه وتعالى لانه هو المقيم له في الاستقامة فلا ينبغي للعبد ان يقف مع هذه الرؤية فيحجب * واعلم أن من الاستقامة ترك الدعوى سواء كان المدعي محقا أو مبطلا ظاهرا او باطنا * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التوكل لأن هذه الرؤية للعوام وأما العبد الخالص فقد علموا ان الحق تعالى وكل جميع الأمور الى نفسه فليس للعبد من الامر شيء فكيف المالك على ملكه مع انه سبحانه وتعالى أعلم بالمصالح ومواضع الانفاق الذي لا يدخلها حكم الاسراف ولا التقتير فمن جعله وكيلا بهذا الوجه فلا بأس فالعبد الخلص ترقوا عن هذا التوكل المعلول فتوكلهم شهودهم ان الامر لم يزل موكولا اليه سبحانه وتعالى وقولهم توكلنا على الله أو وكلنا أمرنا الى الله امتثالا للامر لهم بأن يقولوا ذلك تعبدا وخضوعا واقرارا بالعجز عن ان يملكوا من أمرهم شيأ وأما الذين لم يشهدوا ان الامر كله لله من العوام فتوكلهم جعلهم الحق تعالى وكيلا في أمرهم ولا يخفى ما في هذا من سوء الأدب لكن ذلك ان شاء الله تعالى جائز لامثالهم فيخاطبون على قدر عقولهم لأنهم يوكلون المالك على ملكه ولا يذوقون غير ذلك فهم متخيلون ان الملك لهم وانهم أصحاب الاموال لتوهمهم ان اضافة الحق سبحانه وتعالى الاموال لهم بقوله أموالكم اضافة ملك ولم يعلموا ان تلك الاضافة كاضافة سرج الدابة وباب الدار وأيضا فان الحق سبحانه وتعالى لما تنزل لهم ولعقولهم من كبريائه وتبرع بكونه وكيلا لهم أورثهم هذا التنزل الادلال فغفلوا من لذته عن الادب معه فتجوزوا عليه وجعلوه وكيلا لهم وسلوك الادب أولى من الانبساط لان الانبساط يجر الى المقت ومن ادعى القرب مع الله تعالى مع الادلال فلا علم له بمقام التقريب لأن الادلال على الله تعالى لا يصح من المقربين ومن كلام بعضهم من مرتبته الاذلال ماله وللدلال ويقال للمتوكلين فيماذا وكلتم فيه ربكم ان وكلتم الأمر له فيما هو له فالأمر هو له قبل ان توكلوه اليه وان وكلتم اليه ما رأيتم انه لكم فليس لكم من الأمر شيء فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التفويض وهو معلول أيضا لان الأمور كلها بيد الحق سبحانه وتعالى فاي معنى لتفويض العبد الامر اليه تبارك وتعالى والامر لم يزل مفوضا اليه قبل العبد ومعه وبعده فتفويض العبيد شهودهم ان الامر لم يزل مفوضا اليه فهم متبرؤن من ملك ما نسب الحق اليهم من الامور معترفون بالعجز هذا معنى قولهم فوضنا أمرنا الى الله ولكن ضاقت عليهم العبادة

لانهم ممتثلون أمر سيدهم بهذا القول من غير نظر وفكر الى ماذا أرادبهم لانهم علموا من الحق سبحانه وتعالى ان
جميع أفعاله عين الحكمة فلا تتعلل بالحكمة اذلو تعللت أفعاله بالحكمة لكانت الحكمة موجبة له فيكون الحق
محكوما عليه وهو محال ولذلك كان ليس لهم نظر الى عاقبة فعلهم وكل عن مقامه يتكلم فافهم * ومن ذلك رؤية
كونه من أهل الثقة بالله تعالى ولا يخفى انها معلولة لانها خلاصة مقام التوكل المعلول والتفويض المعلول
والعبيد الخلص لما شهدوا ما قسم لهم فى الازل أغناهم عن الطلب وعن التوسل بالوسائط وان توسلوا بها فهم غير
واقفين معها فلا تحجبهم عن سيدهم لانهم يشهدون أنه لابد من الوسائط للحكمة الالهية السابقة لاسيما بعد وقوع
ذلك اذ كلما أبرزه الله تعالى تبين انه كان لابد منه وكل واسطة قائمة بالمرتبة التى جعلها الحق سبحانه وتعالى
على يديه فلا يمكن قضاء تلك الحاجة التى هى واسطة فيها الا من بابه فلا يسع العارفين ان يأتوا الا من الباب أدبا مع
الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى وأتوا البيوت من أبوابها فلو طلبوا قضاءها من غير واسطة عكسوا الحكمة ولم
تقض لهم هذا فيما كشف لهم انه لا يقضى الا بالواسطة أما ما علموه انه لا يتوقف عليها فلا تحجر عليهم فيه هذا حكم
العارفين وأما العوام فانهم واقفون مع الوسائط دائما فى جميع أحوالهم ولا يشهدون غير ذلك جملة فهذا احدهم
وقد وقع لى فى أول دخولى فى طريق المحبة للقوم انى كنت لا أرى منة للخلق فى شئ وانما أرى المنة لله سبحانه
وتعالى وحده ولو جاءنى شخص بطعام شهى لذيذ أو بماء بارد بعد شدة الجوع والعطش لا أشهده ولا أرى له
منة وأرى رؤية المنة منه شركا وقلة أدب مع الله سبحانه وتعالى ثم خلصنى الله تعالى منه وأطلعنى على الحكمة
فى اثبات الوسائط فعلمت انه لابد منها فصرت أرى لها المنة نسبة وأرى الوسائط كلها من جملة نعم الله على
وكنت فى ذلك الحال لا أدعو لى ولا لغيرى حتى فى صلاة الجنائز ولا أقدر أنطق بذلك كما لا أقدر أنطق بكلمة
الكفر لغلبة شهود السوابق التى جف القلم بها وكنت أعطيت قوة الادلة على ذلك والاستنباط ولو أتونى بألف
دليل أخرج لها وجوها وكنت أرى الحق أقرب الى منى فلا أجد للواسطة محلا ثم خلصنى الله من هذا بعد أيام
بحمد الله تعالى وقد مكث بعض العارفين عشرين سنة لا يجترأ ان يسأل فنودى اسألنا عبودية لا ترجيح فيها
للعطاء على المنع فدعا حينئذ اذا علمت ذلك فالانبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤن ممن يقف من أممهم دون الله
تعالى لانهم انما كانوا يدعون الخلق الى الله تعالى لا لا نفسهم فهم طريق لنا فى حصول الاحكام المتوجهة
الينا بالتكاليف المقربة الى الله تعالى والمبعدة عنه فقط وليسوا مفيضين علينا الامداد بلا قسمة أزلية من الله
تعالى فالوسائط كالقناة الجارى لنا منها الماء فالحقيق بالحمد من أجرى القناة فان أمرنا السيد سبحانه وتعالى
بالثناء على الوسائط امتثلنا أمره من غير وقوف معها الا ان هذا الوقوف عند العارفين سوء أدب مع الله تعالى
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآيات فافهم ذلك والله يتولى
هداك وهو يتولى الصالحين * ومن ذلك رؤية كونه من أهل التسليم ولا يخفى أنه للعوام لان حقيقته فى عرف
اللسان تسليم ما دون الحق الى الحق ولا يخفى ما فيه من الجهل والدعوى لانه لا يملك شيأ من باطنه ولا من ظاهره
حتى يسلمه والعبيد الخلص لما شهدوا ذواتهم وصفاتهم وجميع الكائنات فى قبضة الحق يتصرف فيها كيف
يشاء لم يجدوا شيأ خارجا عنها فيسلموه له فلذلك سلموا من رؤية التسليم ودعواه ولا يخفى ان تسليم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ورتبتهم لا كلام لنا فيه لان ذلك فى أمور لا يذوقها غيرهم ولا شك ان صفاتهم من أعلى مراتب
صفات الخلق مع تفاوت مراتبهم فيما بينهم * ومن ذلك رؤية كونه من أهل الصبر لان فى ذلك دعوى قوة الثبات
على المحن والبلايا وليس لما سوى الله تعالى قوة أصلا لان القوة لله جميعا والعبيد الخلص لما شهدوا عجزهم فى
كل شئ ردوا الاشياء الى الله تعالى والصابرون لما رأوا صبرهم ردوا الاشياء الى نفوسهم واثبات صفات النفس
المباينات والصفات المحمودة فى طريق الخواص منكر مناف للتوحيد عند من يرى انه موحد * واعلم ان من
الأدب ان يتلقى العبد البلاء من المبلى ولا يستند فى انتفاء البلاء عنه الا لمن أنزله به وهو الله سبحانه وتعالى والبلاء
عبارة عن وجود الالم واحساسه به لا غير اذا علمت ذلك فقد غلط كثير من أهل الطريق فحبسوا نفوسهم عن
الشكوى الى الله تعالى فيما نزل بهم وشبهتهم فى ذلك انهم يقولون لا نعترض على الحق فيما يجريه علينا لانه

يؤثر في حال الرضا عنه اذ لا يعلمون انه قد حصل مقام الرضا بمجرد الاحساس بالبلاء وعدم طلب دفعه هذا حده وأما استصحابه فلا يشترط لأن النفس كارهة لوجود الالم ولذلك عبرنا أول الكلام بالالم لا بسببه الذى هو البلاء فافهم واسأل الله أن يرفع عنك ما نزل بك لما يؤدى اليه البلاء من كراهة فعل الله سبحانه وتعالى بك ولهذا وقع من الاكابر رب انى مسنى الضر اذا علمت ذلك فمن الأدب ان ترجع بالشكوى الى الله تعالى اذا كوشفت بالاجابة فى السؤال والاجابة رجوع أيوب عليه السلام أدبا مع الله تعالى حتى لا يقاوم القهر الالهى كما يفعله أهل الجهل بالله مدعين فى ذلك انهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فجمعوا بين جهلتين واعلم أنه قد وقع أيضا التعليم لنا فى السؤال بقوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن ذلك رؤية كونه من أهل الرضا بما قسمه الله له فى جميع الأحوال لأن هذا الرضا فرع من الارادة والعبد لا ارادة له فى جميع الأحوال مع الله تعالى والاختيار وتقدم تقرير هذا بشروطه فى جميع الرجا فراجعه فلذلك كان العبد لا يرى لنفسه سخطا ولا رضا ولا يرجح شيأ على شئ ولا يؤثر حالا على حال فهو راض عن الله تعالى فى كل حالة هو فيها وان كانت معصية فى الشرع فيرضى بها من حيث كونها فعل الله تعالى ويتوب منها ويستغفر من حيث كونه اكتسبها وخالف أمر الله تعالى بعد أن نصب له الدلائل وأرسل اليه الرسل وخلق له العقل فالعبد يرضى بالقضاء لا بالمقضى ولا يرضى لعباده الكفر ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون وكذلك قال بعض العارفين ينبغى للعبد أن يكون حيا فى أفعاله الظاهرة والباطنة فى الأمور التى يتعلق بها النهى الالهى ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء فى كل ذلك لا للمقضى * واعلم أن من الأدب مع الله تعالى ان لا يطلب العبد منه زيادة من المنح ولا نقصا من المحن لأن أهل القرب يعدون هذا سوء أدب لأنهم علموا أن الحق أعلم بمصالحهم منهم ولهم هنا اسرار لا تفشى فافهم وقد طلب بعض العارفين ذلك فنودى ما اخترناه لك أولى مما تختاره لنفسك فاصبر تحت جريان احكامنا وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه سألت الله تعالى ان يرزقنى قيام الليل فعوقبت بحرمان الفرائض ثلاثة أيام ثم نوديت كن عبدا لنا تسترح فان اعنناك ثم وان أقمناك قم قال فصرت عبدا فاسترحت وتساوى عندى نومى ويقظتى لعلمى بان كل شئ هو السابق عنده لى والخيرة فيه وقد سألت الله سبحانه وتعالى مرة ان لا يقدر على معصية فترادفت على المعاصى حتى خشيت ان أموت على ذلك فرجعت الى الله تعالى عن اختيارى فكشف ذلك عنى فلا ينبغى ممن هو بعيد عن مقامهم غارق فى حظوظ نفسه من علمه وعمله ومحبة ديناره ودرهمه أن ينكر عليهم فان هذا لا يدرك الا ذوقا فمن ذاق فهم معنى قوله تعالى وقل رب زدنى علما وقوله سبحانه وتعالى واجعلنا للمتقين اماما وغيرهما من الآيات ولا يخفى أن طلب الزيادة من الخير وغيره على سبيل اظهار الذل والعجز لا بأس به قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فعلم منه أنه لا ينبغى للعبد ان يكتفى بما عنده فيظهر الغناء فيخرج عن حده ولا يجد منعما غير ربه فهو محتاج اليه شاء أم أبى وان لم يسأل اختيارا سأل اضطرارا فالطلب لا ينافى العبودية وتقدم فى مقام الصبر ماله تعلق بهذا فراجعه واعلم أن الله تعالى لم يخلق الانسان عالما بكل شئ فهو فى كل حال يستفيد من العلم ما به سعادته وكماله أو شقاوته ونقصه ليتصف بالأولين ويجتنب الآخرين ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنبيه وقل رب زدنى علما وأما العلم الذى فطر الله العالم والانسان عليه فهو العلم بوجود الله والعلم بفقر المحدث اليه فهو لا يقبل الزيادة فافهم ذلك فعلم ان ما حكاه الله تعالى عن موسى عليه السلام لا ينافيه قول الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل لما قال له وهو نازل فى الهواء من المنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعاملون كل موطن بما يفقهون عن الله تعالى من الأحوال اللائقة بهم فابراهيم عليه السلام فهم ان المراد فى ذلك الموطن عدم اظهار الطلب واكتفى بالعلم السابق فكان ما فهمه عن ربه وموسى عليه السلام علم ان مراد الله تعالى منه فى ذلك الوقت اظهار الفاقة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها وكل على بينة وهداية صلى الله عليهما وسلم ومن ذلك رؤية كونه من أهل الشكر لله تعالى لان غير الكامل ربما شهد فى ذلك دعوى كونه صار شاكرا لله تعالى على انعامه مكافئا له عليها والعبد أصغر قدرا من أن يكافئ سيده بشئ لان

جميع

جميع ما يرى انه يكافئ به برزمن خزائن سيده لقوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه ولا يصح المكافأة الا بشئ خارج عنها ولا خارج فليحذر العبد مما يتخلل باطنه عند تجدد نعمة أو دفع نقمة عنه من طلب تحصيله المكافآت وقوله لنفسه أحي هذه الليلة لسيدك الذى غرقك فى النعم وما جزاء السيد الا أن تعبده كما رزقك وعافاك لان هذا ضعف ايمان وعقل فلهذا كان العبيد المخلص غائبين عن رؤية كونهم شاكرين لملاحظتهم للنعم فهم فارغون عن رؤية ماسواه فحيث ما أشار اليهم بفعل شئ أو تركه وجدهم فارغين غير غافلين ومن كانت همته لا تتعدى يديه فلا واهب ولا موهوب فافهم ذلك * ومن ذلك رؤية كونه صار صادقا فى أفعاله وأحواله لان العبيد المخلص يرون نفس وجودهم زورا فأفعالهم وأحوالهم أولى فاحسن أعمال العبد الذى يشهد منه ذنبا لانه يعتقد انه الفاعل لأعماله لشهوده العمل من نفسه عيانا ومن الله ايمانا والايمان لا يقوى العيان ولسنا نقول انها ذنب فى الشرع بل من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين لأن المقربين يؤاخذون بنسبة الفعل الى أنفسهم لان قسطهم من السنة المحمدية ماجاء به التعرف من جانب الحق وان نسبوا الفعل لانفسهم فهو أدب منهم مع الله سبحانه وتعالى حيث نسبه اليهم فيقبلونه على علم منه انه ليس لهم لان من صفتهم عدم الاعتراض فهم أهل التسليم الذاتى المحض ومن رد اليه تعالى فعله فقد أعطاه حقه فافهم وأما الابرار فانهم لا يؤاخذون بذلك لان قسطهم من السنة ماجاء به العلم وهذا لا يدرك الا ذوقا * ومن ذلك رؤية كونه من أهل المعرفة بالله تعالى المعرفة الخاصة عند القوم والا فكل حادث يعلم أن له موجدا وان من شئ الا يسبح بحمده وتقع هذه الدعوى كثيرا من الفقراء حتى سمعت منهم من يقول ان الذات المقدسة تعلم وهذا جهل ولذلك ورد لا تتفكروا فى ذات الله وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه يعنى ان تتفكروا فيها فتحكموا عليها بامر أنها كذا وكذا واعلم ان ما بايدينا من العلم به سبحانه وتعالى الا صفات تنزيه أو صفات أفعال ومن زعم ان عنده علما بصفة نفسية ثبوتية فزعمه باطل لانها كانت تحده ولا حد لذاته فهذا باب مغلق دون الخلق لا يصح ان يفتح انفرد به الحق سبحانه وتعالى وقد قال سيد العارفين والمرسلين اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك فهذه أسماء لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى فانظر أدبه صلى الله عليه وسلم وادخل فى سلك الموتى فى عجزهم عن ادراك أمر الدنيا على ما هو عليه اذا علمت ذلك فلا يصل الخلق فى معرفتهم الا الى أفعال المقاربة وهى كادوا خواتها فلذا زجر العارفون وردعوا من ادعى انه علم ذات الحق تعالى لما فهم من قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فهى من أشد آية على العارفين لان الأمر لا قرار له ولولا ما شرع الله تعالى للعقلاء بنصبه الأدلة ما ساغ التفكر لأحد ولولاها ما طالب الحق بمعرفته لعلمه ان الخلق عاجزون عن معرفته حق المعرفة سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فعلم صلى الله عليه وسلم ان ثم أمرا لا يحاط به ولهذا قال الصديق الأكبر رضى الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك وحجة الله سبحانه وتعالى قائمة على العبد فى طلب معرفته بطرقها المأذون فيها ولا يكشف العبد العجز الكلى عن الادراك الى يوم القيامة وقد سمعت شيخنا يقول هذا تقسيم حسن فأحببت أن أذكره وتقدم فى مقام التفكر ماله تعلق بهذا * ومن ذلك رؤية كونه من أهل الايثار لان فى ذلك دعوى الملك والملك حقيقة لله تعالى لا للعبد فاحذر من نسبة الملك الى العبد حقيقة لان ذلك شرك وتقدم تقرير ذلك أول الرسالة اذا علمت ذلك فلا يصح من جانب العبد ايثار حقيقة لان ما يؤثر به غيره ليس برزقه بل هو رزق من أخذه لانه لو كان للمؤثر ما خرج عنه فمدح الله سبحانه وتعالى المؤثرين فى قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة محض فضل بقية ما فى أيديهم من النعم المتعدية الى غيرهم وذمه تعالى لغير المؤثرين محض عدل فالكريم جعل رزق الخلق على يديه والبخيل لم يجعل لهم رزقا على يديه فلو جعل لهم رزقا على يديه وصل اليهم ولو بالغصب والسرقة ومدح هذا وذم هذا فضلا وعدلا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فافهم ذلك * ومن ذلك رؤية كونه صار ذا خلق حسن لان شأن العبد الغيبة عن الاخلاق وعن رؤية كونه متخلقا بها اشتغالا بربه سبحانه وتعالى * ومن ذلك رؤية كونه من أهل الأنس بالله تعالى لأن هذه الرؤية

تخرجه عن حضرة ربه سبحانه وتعالى * واعلم ان أقل درجات الانس بالله تعالى ان يكون العبد مع اعراض الخلق عنه أشد أنسا من اقبالهم عليه فليحذر العبد من الاغترار بصفاء الاوقات فان في طيها آفات لا يعرفها الا من أشهده الحق اياها على أني أقول ان اللذة بالانس من حظوظ النفس فالعبد الخالص من تساوى عنده الانس وعدمه وكيف يأنس بالحق من لا يدركه ولم يجانسه ولم يألفه ولم يره والانس لا يكون الا بالمألوف والالف لا يكون الا بالمجانس والمشاكل والمقارب واذا لم يره فليس يرى الا نفسه وكيف يأنس العبد بنفسه وهذا لا يفهم الا ذوقا فافهم ذلك *ومن ذلك رؤية القاصر كونه صار من الذاكرين الله تعالى على كل حالة تحجبه هذه الرؤية لأن من ذكر الله تعالى على الحقيقة نسي في جنبه كل شئ ولان جميع الكائنات ذاكرة لا تفتر كما يشاهد ذلك أرباب الكشف وقد ذقت هذا الحال من صلاة المغرب الى أن مضى ثلث الليل الأول فكنت أسمع أصوات الكائنات بالتسبيح برفع الصوت حتى خشيت على عقلي ثم حجب عني رحمة من الله لسبب أعلمته وسمعت السمك يقول سبحان الملك القدوس رب الأرزاق والأقوات والحيوانات والنباتات ولم أسمع من تسبيح جميع ما سمعته سوى هذا واذا كان الحق سبحانه أقرب الى اللسان من نطقه اذا نطق فكيف يصح من العبد ذكر خالص خال من العلل وكيف يصح دعوى كونه من الذاكرين وهو لم يتخلق باخلاق الله تعالى لأنه قال أنا جليس من ذكرني فكل ذاكر لا يزيد علما في ذكره عند كوره فليس بذاكر وان ذكر بلسانه لان الذاكر هو الذي يعمه الذكر كله فلو صح الذكر صحت المجالسة ولو صحت المجالسة صحت المسامرة ولو صحت المسامرة حصلت المواهب لان المانع لها عدم تهيؤ المحل لقبولها فلا يجالس الا ذو محل قال فذلك هو جليس الحق سبحانه وتعالى فاى خلق اكتسبه هذا المدعي من مجالسة الحق تعالى فانه لو كان صادقا كانت جميع أفعاله موافقة للكتاب والسنة باطنا وظاهرا فاذا علمت هذا فاذكر الله سبحانه وتعالى امتثالا لأمره فقط من غير علة من قصد أنس وتنزيه ونحوهما فانه تعالى له الكمال المطلق فاى شئ تنزهه عنه تعالى الله رب العالمين واعلم انه تعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وما قيد حالا من حال وقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله على هذا الحال وعلى كل حال وقال تعالى عهدت الى عبادى ان يذكرونى فأنفوا ان يذكرونى الا على طهارة * فاحذر من ترك الذكر بحضرة الغافلين خوفا أن يذكروا الله تعالى مع الغفلة عن التعظيم لأن في هذا ترك الوفاء بما عهد الله تعالى وهذا يقع فيه بعض الفقراء الناقصين لانهم لم يعلموا انه لا يشترط في الذكر الحضور وأما الكاملون فهم يشهدون انه تعالى ماذكره أحد من غفلة قط فمن غار على الله ان يذكر الا بحضور فهو لم يعرف الله تعالى وغيرته له لا عليه فالكاملون غيرتهم انما هي على الله ان يذكره غيره فيشهدون ان الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده فذكروه وهم يعلمون انهم ماذكروه ولذلك يقول من غار على لم يذكرنى لأنه عرف من الذاكر ومن المذكور فصار يعزل من الذكر في نفس الذكر وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فمن ذكره به لم يذكره لأنه واسطة والأسماء تذكر بعضها بعضا فافهم ذلك *ومن ذلك رؤية كونه من أهل الغنى بالله تعالى لحجبه بها وغاية درجة الغنى أن يستغني بالله تعالى عما سواه وليس ذلك عند العبد المخلص بمقام محمود فان في ذلك قدرا لما سوى الحق سبحانه وتعالى ولان ذوقهم يسري في كل ما سوى الله تعالى انه عبد عاجز كما هم عبيد ورأوا ان ما سوى الله تعالى محل لجريان تعريفات الحق لهم فما افتقروا الا الى الله تعالى فلذلك لم يروا شيأ يفتقرون اليه في نفسه فالغنى وان كان بالله تعالى محل الفتنة العمياء لانه يعطي الزهو على عباد الله تعالى ويورث الجهل بالعالم وبنفسه بل قال شيخنا رضي الله عنه لا يصح الغنى بالله تعالى أبدا الاحد لانه لو استغنى أحد بالله تعالى لاستغنى عن الله تعالى والاستغناء عنه محال فالاستغناء بالله محال لكن الله يعطيه أمرا ما من الامور الذي يحدث الله فيه عنده هذا الطلب يغنيه ويرسل عنه ما يجده فالافتقار للعبد ذاتي والغنى عرضي فالجاهل يغيب عن الأمر الذاتي له بالامر العارض والعبد الخالص لا يزال الامر الذاتي من كل شئ ومن نفسه مشهودا له دنيا وعقبى فلا يزال عبدا فقيرا لا يستغني في نفسه بربه عن ربه أبدا فافهم

ذلك

ذلك ومن ذلك رؤية كونه صار من الفقراء الذين لا يملكون شيأ من الاكوان لان العبد غائبا عن هذه الدعوى صفر اليدين من دعوى شئ من الاحوال والمقامات مفتقر الى سيده غير ملتفت لسواه وان التفت لسواه من الاسباب فهو على سبيل العبودية والحضور معه سبحانه وتعالى وفيها لاطلاعه على حكمته فى وضع الاسباب فكان رجوعه الى السبب عين الادب مع الله سبحانه وتعالى ولكن يبقى الامر خطرا وأيضا وهو فى خوف الركون الى الاسباب والاعتماد عليها بعد ان كان قطع النظر عنها اذا علمت ذلك فينبغى ان يتفقد نفسه بقطع الاسباب لان الطبع من عادته ان يصرف صاحبه الى الركون بألوفه فليتنبه لذلك السالك ولهذا يقبض الله تعالى التصريف عن أوليائه فى بعض الاحيان لطفا بهم واعتناء فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين *ومن ذلك رؤية كونه من أهل التوحيد أعنى توحيد الالوهية لا توحيد الذات لانها لا تصح ان تعلم أصلا على طريق الشهود الكشفى والذوقى وغاية العلم بها دليل فكرى وأين التوحيد فيها مع ما قد ورد من الصفات المعنوية واختلاف الناس فيها وغير ذلك مما ينافى توحيد الذات أما توحيد الالوهية فلا ينافيه ذلك لامور تقصر عنها العبارة واذا علمت ذلك ورأيت انك موحد للالوهية فاعلم ان هذه الرؤية مخرجة لك عن التوحيد الذى ترى انك وحدت به لانك تشهد اثنين نفسك والحق فلا يصح التوحيد الا مع الغيبة عن الاكوان كلها فالتوحيد من جانب العبد لا يخلص من العلل والتوحيد من جانب الحق توحيد الله اياه نفسه بنفسه من غير أثر لسواه لان حضرته أزلية لا تقبل السوى ولم تزل كان الله ولا شئ معه الحديث وهنا أسرار يعلمها أهل الله تعالى لا تفشى وقد ذقناها ولله الحمد وحفظنى الله تعالى من تضييع الفرض وغيره من التكاليف اذ الغالب على أهل هذا الحال ترك الفرائض وغيره الأمور يعرفونها الا يمكنهم معها فعل شئ من ذلك لتوحيد الآمر والمأمور عنده والعبودية لابد فى اثباتها وفعلها من رؤية التنويه والآمر لا يدرك له قرار ثم خلصنى الله تعالى منه بجانب العبودية لامتثال الأوامر والنواهى فلله الحمد فى السموات وفى الارض وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فلهذا سكت المحققون من العارفين عن التعبير عنه وأما المتكلمون فاعلى ما عبروا به وأطبقوا عليه انه اسقاط الحديث واثبات القديم ولا يخفى ما فيه وبالجملة فالخوض فى هذا الباب لا يدرك الا ذوقا فلهذا قصرت العبارات والاشارات عن تعريفه لأن الموحد وجميع ما يعبر به عن توحيده مخلوق حادث والله من ورائهم محيط فعلم ان الحق سبحانه وتعالى انما تنزه بتنزيه التوحيد الذى هو صفته اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين بالتوحيد وليس هذا التوحيد هو الذى أمر العبد ان يعلمه أو يقوله لأن توحيد الآمر مركب والمأمور بذلك مخلوق ولا يصدر من المخلوق الا ما يناسبه فهو مخلوق عن مخلوق فكيف يليق ذلك بالجناب العزيز وان كنا قد تعبدنا به شرعا فنقره فى موضعه ونقوله كما أمر به على جهة القربة الى الحق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وله التكليف بالمحال انتهى ما أردنا ذكره من المقامات الساقطة عند العبد الخالص ومن فهم ما أشرنا اليه فى هذه الرسالة علم يقينا أن جميع ما يكشف للعبد من ملكوت السموات والارض مكون مخلوق مثله ليس يشعر بعلو مقام ولا برضا الله تعالى عن العبد وغايته أمر من كشف الله له عن جميع ذلك أنه مخلوق رأى مخلوقا وأحاط به وعرفه فهل ثم شئ غير ذلك ولم يتعبدنا الحق سبحانه وتعالى بطلب كشف شئ من ذلك وعالم الشهادة كاف فى الاعتبار والتفكر لمن يستدل به على معرفة الحق سبحانه وتعالى والعبد لو دخل دار السلطان مع جملة الناس وعرف جميع ما فى خزائنه من الذخائر وهو غير ممتثل لامره ولا مجتنب لنهيه لا تفيده معرفته بذلك شيأ وهو متعرض للعقوبة والغضب وأين من يطلب شيأ من ذلك ممن قال فى حقه ما زاغ البصر وما طغى على ان المحققين قالوا جميع ما تسميه العامة كرامات وخوارق ليس له حقيقة انما هو ايجاد كوائن يظهرها الله سبحانه فى أوقات مخصوصة لامر يريده من اقامة الحجة على عباده وغير ذلك وما ثم فى نفس الامر عوائد تنخرق لانه ما ثم تكرار فما ثم ما يعود واليه الاشارة بقوله تبارك وتعالى بل هم فى لبس من خلق جديد فاهل الحق تعالى يشهدون جميع ما يحدث فى الاكوان ليس للعبد فيه أثر ولا يحجبهم عن سيدهم ما يمنحهم به من المواهب ومن هذا المقام قال أبو يزيد رضى الله عنه لو شفعنى الله يوم القيامة فى جميع الخلائق لم يكن عندى

بعظيم لأنه ماشفعنى الاف لقمة طين يعنى خلق آدم من طين ونحن منه كما قال من نفس واحدة فعلم ان المقام المحمود ما عظم لمجرد الشفاعة وانما عظم لما فيه من عواقب الثناء الالهى الذى يثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه فيأ حمد الله الامن أجل الله لامن أجل الشفاعة ثم جاءت الشفاعة تبعا فى هذا المقام وقد أحببت أن أختم هذه الرسالة بكلام جامع لاحوال الخلق ولخلاصة جميع الكتب المنزلة ولخلاصة ما يسلك به المسلكون الى يوم القيامة لأن خلاصة جميع ما أمر الانبياء و ورثتهم ان يقولوا لاممهم بعد ان يبينوا لهم الحرام والحلال افعلوا ما علمتم أنكم مأمورون به واجتنبوا ما علمتم انكم نهيتم عنه هذا ما عليهم وأما الامتثال فراجع الى الله تعالى * واعلم ان كل العوام المخالطين للعلماء الا قليلا يعرفون الحرام والحلال لا يجهلون منهما الا بعض مسائل دقيقة لا تقع الا نادرا فاذا تقرر ذلك فاقول وبالله التوفيق جاءنى هاتف فى المنام وقال لى اسمع هذا الكلام الجامع لكل كلام فقلت له نعم فقال على لسان الحق ليس للعبد ان يشغل قلبه فى كل نفس بالاختيار لفعل شئ أو تركه فى المستقبل وانما عليه ان يعطى ما أبرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا عليها واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرها عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا أو نحوها فعل ما هو اللائق بها وقد قربنا لك طريق الادب فى كل ما يجريه على يديك انتهى فافهم ذلك فهمنا الله واياك ونسأل الله تعالى ان يحققنا بالعبودية له انه على كل شئ قدير وعفوه واسع والحمد لله وحده كما أثنى هو على نفسه فان الحمد الصادر من العبد ملك لله أيضا * فنحمده امتثالا لأمره فنقول الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذى خلع على أوليائه خلع انعامه فهم له بذلك حامدون واصطفاهم لمحبته وأقامهم فى خدمته فهم على صلاتهم يحافظون و وفقهم لمحبته فهم عن سواه معرضون ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين وآله وأصحابه والتابعين (وبعد)

فقد تم طبع هذا الكتاب المسمى بالأنوار القدسيه فى بيان آداب العبوديه

للغوث الربانى والمعدن الصمدانى أبو المواهب سيدى عبد الوهاب

الشعرانى أسكنه الله فسيح جنته دار التهانى وكان طبعه

الزاهر وتمام وضعه الباهر بالمطبعة العامرة الشرفيه

الكائن محل ادارتها بشارع الخرنفش بمصر المحروسه

المحميه ولاح بدر تمامه وفاح مسك

ختامه فى أوائل شهر صفر الخير من

عام سنة ١٣١٧ هجريه على

صاحبها أفضل الصلاة

وأشرف التحيه

آمين